الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم: التاريخ

مذكرة بعنوان:

الشيخ أبو القاسم محمد الحفناوي (1852-1942) نشاطه وآثاره

مذكرة مكملة لنيل شهادة ماستر أكاديمي في شعبة: تاريخ
تخصص: تاريخ المغرب العربي المعاصر

إعداد الطالبات:
- مروه بته
- أميره بولوسه
- خديجة عطاالله

إشراف الأستاذ:
– أ. د ة. نجوى طوبال

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الصفة	الجامعة
د. عبد القادر عزام عوادي	أستاذ مساعد – ب–	رئيسا	جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي
أ. د ة. نجوى طوبال	أستاذ تعليم عالي	مشرفا ومقررا	جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي
د ة. الكاملة فرحات	أستاذ محاضر – أ –	مناقشا	جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي

السنة الجامعية: 2023 / 2024

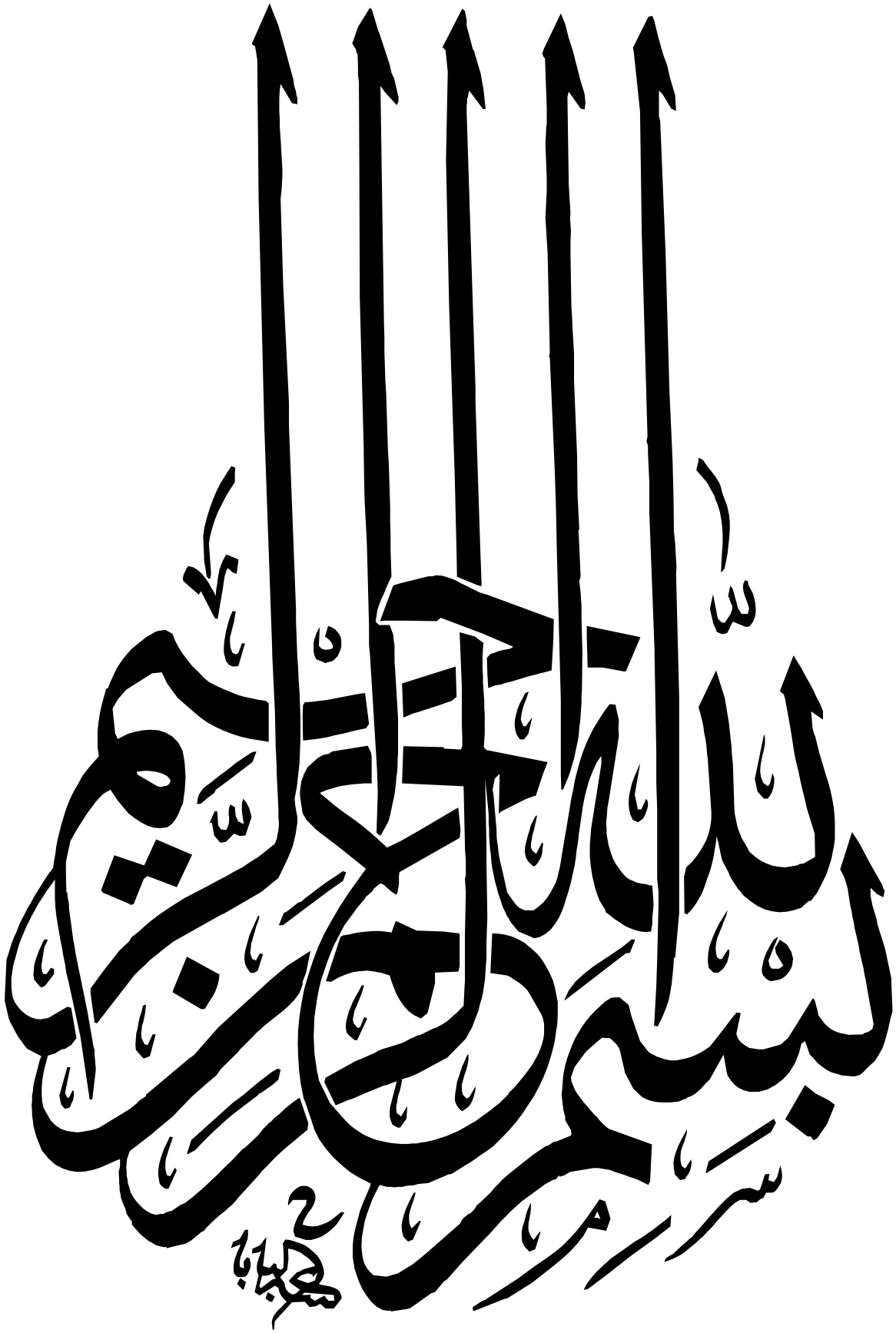
بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

الحمد لله جهداً وشكراً وامتناناً على البدء والختام

وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين

لم يكن الطريق محفوفا بالتسهيلات ولم تكن الرحلة قصيرة لكنني فعلتها فالحمد لله الذي يسر البدايات وبلغنا النهايات.

أهدي هذا النجاح لنفسي الطموحة أولاً ابتدأت بطموح وانتهت بنجاح

وبكل حب أهدي ثمرة نجاحي وتخرجي:

إلى النور الذي أنار دربي والسراج الذي لا ينطفئ نوره أبدا والذي بذل جهد السنين من أجل أن أعلي سلا لم النجاح إلى من أحمل اسمه بكل فخر إلى من حصد الاشواك عن دربي ليمهد لي طريق العلم لطالما عاهدته بهذا النجاح وها أنا أتممت وعدي أهديته إليك قدوتي وشمعتي في الحياة أبي الغالي (عبد الكريم).

من أفضلها عن نفسي وقدوتي الأولى ومعنى الحياة وسر الوجود من كان دعائها سر نجاحي إلى من علمتني الأخلاق قبل الحروف إلى الجسر الصاعد الداعمة في حياتي واليد الحفية التي أزالت عن طريقي الأشواك والمصاعب وأنارت لي طريقي أمي غاليتي (خديجة).

إلى الكتف الذي لا يميل والظل الذي أحتمي به عند الشدائد (إخوتي)

وإلى من مد يده دون كلل ولا ملل سندي وضلعي الثابت (أخي سيف الدين) أدامه الله لي.

إلى الملائكة الذين رزقني الله بهم لأعرف من خلالهم طعم الحياة تلك الملائكة اللاتي غيرن مفاهيم الحياة والصداقة والسند في حياتي (أخواتي).

إلى رفيقات السنين وأصحاب الشدائد والأزمات صديقاتي الغاليات (أميرة – منال – رجاء) أهدي لكم فرحة تخرجي.

وأحب أن أتمم هذا الإهداء إلى صاحبة الفضل العظيم الدكتور (نجوى طوبال).

وإلى كل من أمدني بالقوة والتوجيه ودعموني في الأوقات العصيبة.

وأخيراً من قال أنا لها نالها وأنا لها وإن أبت رغما عنها أتت بها، ماكنت لأفعل لولا توفيق من الله وها هو اليوم العظيم، هذا اليوم الذي أمضينا سنوات الدراسة الشاقة حالمة به حتى توالت بمنه وكرمه لفرحة التمام، الحمد لله الذي به خيراً وأملا إلا وأعرقتنا سروراً وفرحاً ينسيني مشقتي.

مروه بته

الإهداء

وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين

لم تكن الرحلة قصيرة لا ينبغي لها أن تكون، لم يكن الحلم قريبا

ولا الطريق كان محفوظا بالتسهيلات لكني فعلتها ونلتها.

الحمد لله حبًا وشكراً وامتناناً، الذي بفضله ها أنا اليوم أنظر إلى حلم طال انتظاره

وقد أصبح واقعاً أفتخر به.

أهدي ثمرة جهدي المتواضع إلى نفسي أولاً وإلى من أحمل إسمه بكل فخر الذي ساندني وعلمني أن

الحياة صراع وسلاحها العلم، الذي علمني الصبر والاستمرار رغم الصعاب

الذي لطالما رافقتني دعواته أبي الغالي (علي).

وإلى المرأة التي صنعت مني فتاة طموحة تعشق التحديات والصعوبات، قدوتي الأولى إلى الغالية التي

كانت أملي إلى القلب الحنون والشمعة التي كانت نوراً في الليالي المظلمة

التي ساندتني طول مسيرتي وهونت علي الطريق أمي الغالية (بشيرة).

إلى من عاهدتهم بهذا النجاح ها أنا أتممت وعدي وأهديه لكما (أبي وأمي).

إلى من قيل فيهم (سنشد عضدك بأخيك)،

إلى عزوتي وسندي في هذه الحياة (إخوتي أدامهم الله ضلعاً ثابتاً لي).

إلى المؤنسات الغاليات إلى القلوب النابضة بصدق الحب والمشاعر إلى أخواتي الغاليات إلى ملاكي في

الحياة إلى معنى الحب وإلى معنى الحنان إلى بسمة الحياة أختي الكبرى (سعاد).

إلى صديقتي العزيزة ورفيقة دربي وسندي في كل المواقف (مروة).

ولكل من أعطاني يد العون من قريب أو بعيد

وساعدني في إنجاز هذه المذكرة وأخص بالذكر المشرفة والدكتورة (نجوى طوبال).

أهديكم جميعا هذا العمل المتواضع وثمرة جهدي وأشارككم فرحت تخرجي.

وأخيراً من قال أنالها نالها وأن أبت رغما عنها أتيت بها ما كنت لأفعلها

لولا توفيق من الله ورسوله والله ولي التوفيق

أميره بولوسه

الإهداء

بسم الخالق مُيسر أموري و عاصم أمري، لكَ الحمدُ حمدًا يوفي نعمك و قدير معروفك.

توالي عطائك عدد ما أحاط به علمك، وأحصاه كتابك.

و بعد قولهِ تعالى(و إن سعيه سوف يرى) ها هي اليوم تنتهي هذه الرحلة بهذا العمل أسأل الله أن يكون مباركا نافعاً لغيري.

أهدي نجاحي هذا أولا الي نفسي التي كافحت لتحقيق هذه الايام و تكون جزءًا من هذا النجاح الجامعي ثم إلى جنود الخفاء(أمي)

التي أزالت عني الطرق الوعرة بفضل الله و التي تحملت كل المسرات و الأحزان سهرت الليالي و الأيام الطوال

كتفي وسندي و نعمتي وجنة قلبي..

ثم إلى بطلي الأول (أبي) حبيبي و رفيقي و صاحبي الأزلي وإنه لمن الفخر أن أهدي نجاحي لتلك القامة الشامخة وللجبل الأشم.

ثم إلى معلمي الأول الذي أحسن لنا (غرغوط علي)

وإلى المقام الثالث و الأقرب الى قلبي ضلعي الثابت إلى الأحن والأرفق المنعقد في قلبي لا يغادرني مطلقاً عزتي و حمى ظهري أخي (الطاهر)

وإلى أخوتي و أخواتي هم نجاحي قبل النجاح وعزتي ومسكني هم بداية المشوار وخواتمه..

إلى اخي الأكبر الذي لا تفيه الكلمات بقدر ما أكتب نعمة الأخوة لي زوج أختي (أسماعيل)

إلى أصدقاء العمر الى جميع أهلي وأحبتي الذين رافقوني في أفراحي زوجات أخوتي وأبنائهم وأولهم (حنين)

و إلى كل من ذكرهم القلب و لم يذكرهم القلم و الى أصدقائي في نفس العمل والحمد لله رب العالمين

خديجة عطاالله

الشكر والتقدير

بسم الله الرحمن الرحيم

(يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

الذي من علينا وفقنا وأعاننا وأنعم علينا بالصحة

حتى استطعنا نيل مبتغانا ووصلنا بكل تواضع واعتزاز

تتقدم بأسمى عبارات الشكر والامتنان إلى الأستاذة المشرفة " نجوى طوبال " التي أشرفت على

إعداد هذه المذكرة وعلى إرشادنا وتوجيهنا .

كما تتقدم بالشكر إلى كافة أساتذة قسم التاريخ

ولا يفوتنا أن نشكر كل من منح لنا يد العون من قريب أو بعيد ولو بكلمة طيبة

مقدمة

شهدت الجزائر خلال الربع الأول من القرن العشرين نشاطا ملحوظا في المجال الثقافي تجلى ذلك في بروز نخبة مميزة من رجال الفكر والثقافة، وكان أساس تلك النهضة الحديثة هو الوعي القومي الذي إنتشر بينهم، وشعورهم بالانتماء الحضاري للأمة العربية وقد تغذى ذلك الاحساس بعوامل كثيرة ساهمت في التوطئة لذلك التغيير الملحوظ الذي مس المجتمع الجزائري. ولعل التفاعل مع الحركة الفكرية الوافدة من المشرق العربي، وعودة الكثير من العلماء وطلبة العلم، قد ساهما في تغذية النشاط الثقافي، حيث برز العديد من العلماء والمفكرين الذين اختلفت مشاربهم وأفكارهم، لكن اتفقت إرادتهم على النهوض بالأمة الجزائرية فكريا وعلميا. ومن بين الأقلام الجادة والشخصيات العلمية الفذة التي قامت بدور في مجال التدريس والتأليف والمقالة الصحفية نجد **الشيخ أبو القاسم محمد الحفناوي** أحد أعلام الجزائر وعلمائها الذين سعو إلى إحياء التراث الجزائري الإسلامي، والذي تزامن نشاطه مع مطلع القرن العشرين وانتعاش الصحافة العربية.

لم يحظى البعض من أعلامنا بالدراسة والعناية الكافية من المؤرخين الجزائريين خاصة أعلام الثقافة الذين عاشوا على هامش الأحداث وبالتالي بقى جزء كبير من تاريخ الحركة الثقافية، خاصة مع مطلع القرن العشرين، غامضا يحتاج لدراسة وتمحيص، ومن هذا المنطلق تتدرج دراستنا لمسار الحفناوي الصحفي والأدبي، حيث أثر الحفناوي في هذا السياق وتأثر به، من خلال عناصر عديدة تتمثل في الوضع التاريخي الذي ظهر فيه الحفناوي وهي الفترة الاستعمارية للجزائر، كما عاصر بوادر الحركة الثقافية بمختلف تياراتها.

ونظر لأهمية الفترة التي عاصرها الحفناوي من حيث غناها بالأحداث الثقافية والسياسية يمكن القول أنه توفرت لدينا العديد من الأسباب التي كانت وراء اختيارنا هذا الموضوع ومن أهمها نذكر:

- قلة الدراسات الأكاديمية حول أبو القاسم محمد الحفناوي والتي رصدت مساره وحياته، باستثناء بعض الدراسات التي كتبت عنه وتناولته في سياق موضوع عام.

- مكانة أبو القاسم محمد الحفناوي، فهو رجل صحفي ومترجم وشاعر.
- خصوصية الفترة التاريخية هذه الفترة التي ظهر فيها الحفناوي، حيث عرف العالم الإسلامي عموما والجزائر خصوصا جل كانت مرحلة إنتقالية (مرحلة النهضة).

ولدراسة هذا الموضوع ومحاولة البحث عن حيثياته توجب علينا طرح الإشكالية الآتية:

ماهي سمات الشخصية والمساهمات العلمية للشيخ بو القاسم محمد الحفناوي؟ وماهي آثاره في الحياة العلمية؟ وذلك من خلال التعرف على جوانب من حياته ونشاطه العلمي ومؤلفاته، ولمناقشة الإشكالية وجب الإجابة على عدة تساؤلات فرعية أهمها:

- من هو أبو القاسم محمد الحفناوي؟
- وماهي أهم أنشطته؟
- وما هي أشهر مؤلفاته؟

وفي تعرضنا لهذا الموضوع تم استعمال المنهج الوصفي والتحليلي فمن الناحية الوصفية قد وصفنا الوضع الذي كان يعيش فيه الحفناوي وحالته، أما المنهج التحليلي فاعتمدنا عليه في تحليل مختلف النصوص والرسائل والمقالات الصحفية التي كتبها وحررها والتي تنوعت طبيعة مواضيعها وأساليبها ولهجتها.

ومن أجل إنجاز هذا العمل قسم البحث إلى ثلاثة فصول إلى جانب المقدمة والخاتمة.

تناولت المقدمة جوانب تتعلق بعناصر الموضوع وطرح الإشكالية وشرح الخطة وذكر المصادر المعتمد عليها في البحث مع التطرق إلى أهم الصعوبات التي واجهتنا في عملية البحث.

جاء في الفصل الأول: وهو تحت عنوان أبو القاسم الحفناوي النشأة والتعلم، التركيز على نسبه ومحيطه العائلي بالإضافة إلى مساره التعليمي وشيوخه وأنهينا الفصل بأخلاقه ووفاته.

أما الفصل الثاني: جاء متضمننا نشاطاته العلمية والعملية حيث تناول نشاطه التدريسي بالعاصمة والصحفي في كل من جريدة المبشر وكوكب إفريقيا بالإضافة إلى نشاطه الثقافي والجمعوي وتوليه وظيفة مفتي المالكية، كما تطرقنا إلى علاقته في محيطه العلمي والعملي.

وبالنسبة للفصل الثالث: الذي يندرج تحت عنوان نماذج من كتابات الحفناوي حيث تناولنا فيه اقتباساته ومقالاته الصحفية ومؤلفاته وأشهرها كتابه (تعريف الخلف برجال السلف).

تأتي في نهاية البحث الخاتمة، وهي ملخص مركز للموضوع من خلالها تستوفى النتائج المتحصل عليها والاستنتاجات التي هي بمثابة الإجابة عن إشكالية الموضوع المطروحة في المقدمة.

ولدراسة هذا الموضوع تم الاعتماد على مجموعة هامة من المصادر والمراجع يمكن تقسيمها إلى مصادر رئيسية ومراجع ومجلات أما المصادر فقد رتبت حسب الأهمية فهناك من عاصرته ككتابه (تعريف الخلف برجال السلف) وكتاب (تاريخ الجزائر العام) لعبد الرحمان الجيلالي بجزئيه الرابع والخامس وكتاب (تعريف الخلف برجال السلف تحقيق خير الدين شترة) الذي تتبع حياة الحفناوي العائلية والصحفية، كما تم الاعتماد أيضا على مجموعة من كتب أبو القاسم سعد الله لاسيما كتابه (تاريخ الجزائر الثقافي) بأجزائه الثاني والثالث والرابع والخامس والسادس والسابع والثامن، بالإضافة إلى مجموعة من المجلات مثل مجلة الأصالة لخديجة بقطاش بعنوان (أبو القاسم الحفناوي وكتابه: تعريف الخلف برجال السلف)، ومجلة دراسات وأبحاث لرقية شارف بعنوان (أبو القاسم الحفناوي وكتابه: تعريف

الخلف برجال السلف)، فأما الأطروحات الجامعية فقد تم الاعتماد على قويدرية قمير تحت عنوان (الجمعيات والنوادي الثقافية ودورها في الحركة الوطنية 1900-1939).

تأتي بعدها الصعوبات التي واجهتنا في عملية البحث هي عملية جمع المادة الأرشيفية، والتي يصعب الحصول عليها أحيانا وغيابها أحيانا أخرى، فمعظم أرشيف الحفناوي لا يوجد في مراكز الأرشيف والمكتبات الوطنية، بل ما يزال موزعا ومشتتا بين عائلته وأصدقائه.

ومن الصعوبات أيضا عدم التمكن من الحصول على المقالات التي كتبها في جريدة المبشر.

الفصل الأول

أبو القاسم محمد الحفناوي، النشأة والتعلم

1- المولد والنسب:

هو أبو القاسم محمد الحفناوي بن أبي القاسم الديسي بن إبراهيم الغول[1]، هو العالم والمعلم والشاعر والأديب والصحفي والمترجم والمفتي، يعتبر أحد صلحاء بالديس وصاحب زاوية بها[2]، ولد بقرية الديس بالقرب من مدينة بوسعادة حاليا سنة 1269هـ-1852م[3]، غير أن صديقه الشيخ محمود كحول[4] ذكر أنه ولد عام 1267هـ- 1850م،[5] ولا نعلم أيهما التاريخ الصحيح لولادته وبما أن تاريخ الميلاد المتداول هو سنة 1852م فقد اعتمدناه، يرجع نسبه إلى سلالة سيدي محمد ابن عروس وسيدي المازري بن يطو زعيم الخلوية[6].

---

[1] عادل نويهض، **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**، مؤسسة نويهض الثقافية لتأليف والترجمة والنشر، بيروت، 1980، ص121.

[2] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج7، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص428.

[3] عبد المنعم القاسمي الحسيني، **زاوية الهامل مسيرة قرن من العطاء والجهاد 1862-1962**، ط2، منشورات الوزارة الجزائرية، دار الخليل لنشر والتوزيع، بوسعادة، 2013، ص420.

[4] محمود بن كحول: هو محمود بن كحول بن دالي ولد في حدود سنة 1870 قسنطينة أحد رجال الثقافة والعلماء في الجزائر، تولى العديد من الوظائف منها التدريس في المدرسة الابتدائية الفرنسية الكائنة في سيدي مسيد بقسنطينة، ثم اشتغل محررا في جريدة المبشر وفي سنة 1907م عهد إليه مهمة تحرير جريدة كوكب إفريقيا وفي عام 1935م عُين مفتياً حنفياً لمدينة الجزائر. للمزيد ينظر: لونيسي إبراهيم، "**تداعيات اغتيال المفتي كحول بن دالي على جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والمؤتمر الإسلامي الجزائري 1936-1939**"، المجلة الجزائرية للبحوث الدراسات التاريخية، مج5، ع10، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، 2019م، ص103.

[5] خير الدين شترة، **من أعلامنا المنسيين**، دراسات وأبحاث في تراجم بعض أعلام الجزائر، مج1، وزارة الثقافة، دار الصديق لنشر والتوزيع، قسنطينة، 2015، ص98.

[6] الخلوية: وهي زاوية ظهرت كمؤسسة تعليمية تعنى بالقرآن وعلومه، ويطلق على اسم الزاوية تاريخيا على بناء ملحق بأحد المساجد في المدن مخصصا لاستقبال أطفال وتعليمهم مبادئ الإسلام والقراءة والكتابة وأولويات الحساب، ينظر: أبو القاسم سعد الله، **بحوث في تاريخ العربي الإسلامي، دار الغرب الإسلامي**، بيروت، (د ت)، ص18. وينظر أيضا: خديجة بقطاش، "**أبو القاسم الحفناوي وكتابه تعريف الخلف برجال السلف**"، الأصالة، مج18، طبعة المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر، 2021، ص148.

نشأ الحفناوي[1] في حجر والديه ببلدته، فحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب على يد الشيخ محمد عبد الرحمان الديسي، على غرار معظم أفراد أهله وذويه الذين كانوا يحفظون القرآن الكريم[2].

اشتهر الحفناوي بحبه وشغفه للعلوم على مختلف أنواعها من دينية ودنياوية، وكان كاتبا بليغًا، وشاعراً مجيداً، كثير التدقيق والتنسيق ذاكراً للتاريخ باحثا محققا، كما أنه عاشر الصحافة مدة تفوق الخمسين سنة.[3]

2- الأسرة والمحيط العائلي:

كان يعيش الحفناوي في أسرة عريقة ومتينة الصلة بالعلم والدين[4]، والده هو الشيخ بن أبي القاسم بن محمد بن مزروق بن إبراهيم الغول[5]، وتسميته بالغول بسبب تغوله في الولاية الصوفية أي غاص فيها وقطع أشواطاً بعيدة في التصوف، وهو ينتسب إلى الأشراف وأهل بوسعادة يعتقدون فيه الصلاح، لا يزالون يزرون ضريحه إلى يومنا هذا[6]، ولقب والده بابن عروس بن الصغير وبالهاملي لشهرته بالتدريس في زاوية الهامل[7].

---

[1] أنظر الملحق رقم 01.

[2] محمد الحفناوي أبو القاسم ، **تعريف الخلف برجال السلف**، تحقيق خير الدين شترة، ج1، ط2، دار كردادة لنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص145.

[3] الزبير سيف الإسلام، **تاريخ الصحافة في الجزائر**، ج5، ط2، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، 1985، ص141.

[4] رابح خدوشي، **موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين**، ج1، منشورات الحضارة، وزارة الثقافة، الجزائر، 2012، ص716.

[5] بن نعيمة عبد المجيد، **موسوعة أعلام الجزائر، 1830-1954**، ط5، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، وزارة المجاهدين، الجزائر، (د ت)، ص288.

[6] محمد الحفناوي أبو القاسم ، **تعريف الخلف**...، تح: خير الدين شترة، مصدر سابق، ص146.

[7] زاوية الهامل: هي مؤسسة تعليمية كبرى يعود تأسيسها إلى سنة 1863 من طرف الشيخ محمد بن بلقاسم الهاملي، تقع على بعد عشرين كلم من مدينة بوسعادة، ساهمت في الحفاظ على الثقافة العربية الإسلامية، لعبت دور ثري وانتشار الكثير من الزعماء بتلك الربوع، كما حافظت على التراث الإسلامي ونشر العلم، والحفاظ على الهوية الوطنية، فقد زارها الكثير من العلماء وذلك لكثرة نشاطها العلمي الكبير. ينظر: صلاح مؤيد العقبي، **الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر**، دار براق، بيروت، 2002، ص255. وينظر أيضا: شارف رقية، "**أبو القاسم الحفناوي وكتابه "تعريف الخلف برجال السلف"**"، مجلة دراسات وأبحاث المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج15، ع1، جامعة الجزائر، 2023، ص640.

أما والدته فهي خديجة بنت محمد المازري بن بطو بن محمد القاسم بن محمد بن أبي القاسم بن محمد السنوسي بن مرزوق بن سيدي أمحمد بن سيدي إبراهيم الغول، مثلما هو واضح فإن نسبها يتقاطع مع نسب والده عند الجد الرابع محمد بن أبي القاسم[1].

وقد نظم الشيخ الحفناوي قصيدة للإفتخار بنسبه وعرشه أولاد سيدي إبراهيم حيث قال:

أَلاَ لِبـَاغٍ حَـــقِيرٍ مُّهَـــانُ **** خـدَينِ اَلمسَاوِي قَرِينِ الدِّمان

أَنأ الحَاءُ وَالفَاءُ.. حِلْفُ وَفـَا **** وَنَصْلٌ وَّوَيْلٌ لَّـــذي الشَّنَـآن

لَيِنُ كُنْتَ فيِ اللَّســع عقـرَبَةً **** فَإِنَّي في الـلَّدغِ كَـالأُفعُـوَان!

وَشَتَّانَ مَا بَيْــن لاَسـعَـــةٍ **** بِذَنْبٍ وَمَنْ لَّدْغُــهُ بِاللِّســان

أَلَمْ تَلْتَفِتْ يَا حِــمَارَ الرَّحَــا **** لغول الوِلاَيَةِ حِرْزِ الأَمَــان؟!

سَمِيِّ الخَلِيلِ، وَلَّي الجَلِيـــلِ **** برُءِ العَلِيلِ وَحِصْنِ الضَّــمَان

هُوَ اللَّيْثُ إِنْ ضِيمَ مِنْ نَّسْلِـهِ **** ظلومُ يَّضُــرُّ بِإِنْسٍ وَّجَــان

هوُ البَحْرُ جُوداً وَّ غَوْثًا لَّمـنْ **** أُصِيبَ وَنَادَى.. وَإِنْ بِعُمَــان!

هُوَ الشَّمْسُ وَالبَدْرُ وَالنَّجْمُ وَالمَـ **** ــدَارُ وَالقُطْبُ وَالفَرْقَـــدَان

طُفِ الأَرْضَ شَرْقًا وَغَرْبًا وَسَلْ **** تجدهُ شَهيراً بأيِّ مَـــــكَان

وَنَحنُ بَنُـوهُ سَمَونَـــــا بِه **** جَميعًا عَلىَ كُـلِّ قـاصٍ وَّدان

بخلْقٍ وَخُلقٍ وقَدْرٍ عَـــــلاَ **** وَعِلْمٍ وَّتَقْوَى وَمِـلءِ جِفَـــان

وَحُسْنِ جِوَارٍ وَصَبْرٍ عَلـــىَ **** قضَاءٍ قَضَـاهُ مُديرُ الزَّمَـــان

وأَمْرٍ بـعُرْفٍ وَأَخــذٍ بِـــه **** وَبِالعَكْسِ ثُمَّ بِطَعْنِ السَّنـــان

رِقَابُ العِظَامِ لَـنَا خَضَـــعَتْ **** عَلى رَغْمِ أَنْفِ الحَسُودِ الجَبَان

فَمَن ذَا يُجَارِي لَـــنَا عَـالمَـا **** إِذاَ فَاهَ بَـتَّ عُـقُودَ الجُمَـــان

وَمَـنْ ذَا يُبَـــارِي لَنَـــا قَلَـمًا **** إذا رَنَّ في الطِّرْسِ غَنَّى البَيَان!

[1] خير الدين شترة، **من أعلامنا...**، مرجع سابق، ص113.

لقدْ غَرَّكَ الجَـهْلُ يَـا مُبْتَـغِي **** مُسَابَقَةَ الخَـيْلَ فَـوقَ الأَتَـــان
فَوَاللهِ مَا أَبْصَرَتْ مُقْلَتَـــــي **** حمَاراً بِمِضْمَارِ خَيْلِ الرِّهَـــان
وَلاَ سَمِعَتْ أُذُنِي أَبَـــــــداً **** بِعَدْلٍ يُقَاوِمُ شَيْخَ امْتِـــــحَان.[1]

كان الحفناوي واحد من بين أربعة إخوة له[2]، وهم: المدني وعبد القادر وهو الأخ الغير الشقيق له وأحمد، أما البنات فله سبعة أخوات. أما بخصوص أقاربه، فله أخوال وهم محمد بن عبد القادر وعبد القادر الجيلاني وأحمد الذي اشتهر بالعلم والأدب، وله خالة واحدة وهي ذهبية[3]، كما أنه له ثلاثة أعمام وهم سيدي التومي بن الصغير وهو كبيرهم وسيدي الصبحي وسيدي الأكحل[4].

تزوج أبو القاسم الحفناوي مرتين في حياته الزوجة الأولى وهي السيدة قوراية يقال أنها من مدينة الجزائر وهناك من يذكر أنها كرغلية تزوجها بعد عام 1884، وهي أم أولاده الخمسة عبد الرحمان وفاطمة وخديجة وحورية ونفيسة، لكنها توفيت أواخر عام 1930 عقب وفاتها بقليل تزوج رحمة بنت الشيخ بلقاسم ابن التومي، والتي تزوجها في أواخر عمره أين ألمت به الأمراض فأضحى عاجزاً ولم ينجب معها أولاداً،[5] ويبدو أن تفانيها في خدمته وقضاء حوائجه جعله يهب لها كل تركته وقد جاء في تعهد كتابي من الشيخ الحفناوي بتملكها الجنان الظهراوي ومبلغ خمسة آلاف فرنك،[6] كما ذكر أيضا أن جميع ما خلفه من أبيه من دار وبستان وأرض حراثة أعطاه لها لتتنفع به مدة حياتها ولا يشاركها أحد من ورثته.[7]

---

[1] أنظر الملحق رقم 02.

[2] عمر بن قينة، **صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث (أعلام وقضايا ومواقف)**، ديوان المطبوعات الجامعية، معهد الأدب العربي، جامعة الجزائر، 1993، ص125.

[3] خير الدين شترة، **من أعلامنا...**، مرجع سابق، ص113.

[4] محمد الحفناوي أبو القاسم ، **تعريف الخلف...**، تح: خير الدين شترة، مصدر سابق، ص159.

[5] نفسه.

[6] أنظر الملحق رقم 03.

[7] أنظر الملحق رقم 04.

أما عن العصر الذي عاش فيه الحفناوي فترة حكم لم تكن الجزائر خلالها هادئة مستقرة بل كانت تعيش تحت ظل الاحتلال الفرنسي الغاشم وهي فترة خمدت فيها الثورات والمقاومات العسكرية، وبزغت أسلوب جديد للمقاومة سياسي وفكري فظهر نوع من اليقظة والنشاط الثقافي الهادف لإعادة بعث الذات الجزائرية مع نهاية القرن 19م وبداية القرن 20م، هذه الذات التي تعرضت للتشويه من طرف الاستعمار الفرنسي منذ سنة 1830 حيث كانت النهضة الثقافية في الجزائر على غرار ما يحدث في المشرق العربي الإسلامي، بدليل أنها تجسدت في بعض المظاهر كالنشاط الصحفي والأنشطة الاجتماعية والثقافية وتأسيس النوادي والجمعيات.[1]

3- مساره التعليمي:

لقد تلقى الحفناوي صنوفا وألوانا عدة من العلوم والمعارف تتنوع بحسب تنوع المحاضن العلمية التي أخذ منها، فقد تلقى معارفه الأولية في مسقط رأسه الديس[2] وأخذ مبادئ العلوم العربية والشرعية هناك، فكان من علماء عصره في اللغة والأدب والفقه والتوحيد النحو والصرف المنطق والحساب وعلوم البلاغة والعروض، وقد تميز عن أقرانه بسرعة الحفظ وأخذ مبادئ العلوم عن والده[3].

وبعد أن شب إستأذن والده في السفر[4]، فإرتحل لطلب العلم والمعرفة في بداية شبابه فالتحق بزاوية الشيخ بن داود[5] بمنطقة جرجرة وبعد مدة قضاها هناك ارتحل مرة ثانية متجهاً

[1] شارف رقية، مرجع سابق، ص640.

[2] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص 89-90.

[3] بن نعيمة عبد المجيد، مرجع سابق، ص69.

[4] الزبير سيف الإسلام، **تاريخ الصحافة...**، مرجع سابق، ص142.

[5] زاوية بن أبي داود: وهي من أهم الزوايا العلمية في القرون الأربعة الماضية وتقع في تاسلنت نواحي آقبو ولاية بجاية حاليا، وقد نفع الله بها خلقا في منطقة القبائل وما جاورها وقصدها الطلاب لحفظ القرآن الكريم، ينظر: مؤيد العقبي، مرجع سابق، ص299.

جنوبا، فحط رحاله في زاوية طولقة[1]، ليعيش ثانية مع الطلبة الوافدين إليها من جهات عديدة من الوطن، وفيمايلي نذكر أهم المناطق التي زارها الحفناوي طالبا للعلم:

3-1- تعلمه في طولقة ما بين 1867-1871:

تعتبر مدينة طولقة عاصمة الزاب العربي بالجنوب الجزائري حيث نزل الحفناوي بها وهو في ريعان شبابه، حيث لم يتجاوز 17 سنة من عمره، واتصل بشيخها الحفناوي بن الشيخ علي بن عمرو مؤسس الزاوية، وهو من تلامذة والده المذكور سابقا، فأخذ عنه وعن الشيخ مصطفى بن عبد القادر، ودرس علوم الشريعة والأدب ومكث هناك أربع سنين، ثم انتقل منها طالبا للاستزادة من تحصيل العلم بالتلقي عن الرجال فنزل بزاوية الشيخ ابن أبي داود السابق ذكرها بتاسيلت في بلد أقبو.[2]

3-2- تعلمه بزوايا جبل زواوة (جبل النور) ما بين 1871-1874:

اشتهرت هذه الزاوية في عهد الشيخ السعيد بن عبد الرحمان بن أبي داود[3]، فالزاوية فرعان فرع سيدي أبي التقي ببرج بوعريريج وهو الذي درس فيه والد الحفناوي وصاحب زاوية الهامل والفرع الثاني في الدريعات بالمسيلة، أما الزاوية الأصلية فكانت في تاسيلت، أما وظائف هذه الزاوية فلا تكاد تختلف عن الزوايا الأخرى في ذلك، ومنها فض الخصومات وإصدار الأحكام في الفتاوى والنوازل وتوضيح تعاليم الدين للعامة[4].

---

[1] زاوية طولقة: هي زاوية بنيت على أساس ديني تقع خارج باب البلد الغربي لمدينة طولقة، فقد قامت لأعمال جليلة في تحفيظ القرآن الكريم، وتدريس مبادئ العلوم الدينية واللغوية من نحو وصرف وبلاغة، وغير ذلك، وقد أمها طلبة من جميع القطر الجزائري لتلقي العلوم بها من حفظ للقرآن الكريم، وتدريس فقه وتفسير وحديث نبوي شريف، وعلم الفلك وجميع مواد اللغة العربية. ينظر: سليمان الصيد، **تاريخ الشيخ علي بن عمر شيخ زاوية طولقة الرحمانية**، دار هومة ، الجزائر، (د. ت)، ص 14-15.

[2] محمد زرمان، **أبو القاسم الحفناوي وكتابه: تعريف الخلف برجال السلف58**، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، الأردن، 1997، ص2، نقلا عن: محمد الحفناوي أبو القاسم، **تعريف الخلف...**، تح: خير الدين شترة، مصدر سابق، ص166.

[3] محمد السعيد: وهو الفاضل المحترم الظريف السيد محمد السعيد بن علي الشريف ولد رحمه الله عام 1238هـ (سنة 1820مسيحية) في يلولة من بلده زواوة وهو من نسل الصالحين الذين جاءوا من المغرب واستوطنوا ببلاد القبائل ما بين القرن السادس والقرن الثاني عشر، وهو صاحب زاوية شلاطة. ينظر: محمد الحفناوي أبو القاسم، **تعريف الخلف برجال السلف**، ج2، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الرغاية، الجزائر، 2007، ص402.

[4] ينظر: محمد الحفناوي أبو القاسم ، **تعريف الخلف** ...، تح: خير الدين شترة، مصدر سابق، ص189.

وقد نوه أبو القاسم الحفناوي بزاوية ابن أبي داود واعتبرها (أم الزوايا العلمية في القرون الثلاثة الأخيرة)، ومنها إنتشر الفقه والنحو والفلك والحساب.[1] وفي ذلك يذكر الحفناوي أنه قد انخرط في سلك المنتفعين بعلومها وأسرارها والمنتسبين إلى أهلها نفعنا الله ببركاتهم وجمعنا بهم في دار النعيم المقيم، وكان عمره (21 سنة) [2].

3-3- تعلمه في زاوية شلاطة ما بين 1871-1874:

كما أن الشيخ الحفناوي دخل كذلك زاوية شلاطة[3]، فكان طالباً مواظباً على أخذ وتعلم القرآن وعلومه، وإن الذي لم يقرأ القرآن في شلاطة ولم يتعلم الفقه في تاسيلت ولو قرأ وتعلم في غيرها يعتبر عند المحبين ناقص السر[4]، والدليل على هذا أن الناس إذا أوردوا تعظيم طالب أو فقيه نسبوه إلى إحدى الزاويتين إما زاوية تاسلينت وإما زاوية شلاطة فيكفيني من الكلام عنها أنها زاوية ابن علي الشريف الذي ورثه في الظاهر والباطن ولده سيدي محمد السعيد رحمه الله المتوفي يوم 14 جمادى الأولى سنة 1314هـ/20 أكتوبر 1896م[5].

3-4- توجهه إلى زاوية الهامل ما بين 1874-1876م:

كان الشيخ الحفناوي يحفظ القرآن الكريم كاملا، وذلك ما سمح له بتخطي بعض المراحل التعليمية بحسب نظام الزاوية في شروط قبول التلاميذ، حيث لم يمر بالمرحلة الإعدادية مثلما يتم العمل به في العادة، بل إندمج مباشرة في الحلقات التي تقام بمسجد الزاوية[6].

---

[1] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص193.

[2] محمد الحفناوي أبو القاسم ، **تعريف الخلف** ...، تح: خير الدين شترة، مصدر سابق، ص169.

[3] زاوية شلاطة: وهي زاوية مقصودة لقراءة كتاب الله عز وجل، يأتونها من كل فج عميق، ينظر: محمد الحفناوي أبو القاسم ، **تعريف الخلف**...، ج2، مصدر سابق، ص402.

[4] خير الدين شترة، **من أعلامنا**...، مرجع سابق، ص128.

[5] نفسه.

[6] عبد الرحمان الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، ج4، ط7، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994م، ص426.

وحسب نظام زاوية الهامل الداخلي فإن التلاميذ لا يدفعون رسوما للدخول ولا للدراسة فمؤونة تمويل الزاوية كانت تأتي من الزيارات والتبرعات وإحسان المحسنين[1]، أما برنامج التعليم في الزاوية فقد كان مشابه لبرنامج جامع الزيتونة وأمثاله، فهناك مراحل ومستويات من الإبتدائي إلى الدروس العالية وهناك دورات إنتقالية، وتكاد الكتب المقررة تكون واحدة والعلوم المتداولة هي العلوم الدينية والعربية طبعاً، وعندما أجيز الحفناوي من طرف شيوخه بزاوية الهامل، عاد إلى مسقط رأسه بالديس عاكفا على المطالعة والبحث مع مواصلة تحقيق المسائل وتصحيحها وعرضها على والده وعلى الشيخ محمد الصديق الديسي[2].

3-5- تنقله إلى مدينة الجزائر ما بين 1883-1940م:

كان هدف الحفناوي حين قرر الذهاب إلى العاصمة، وهو على مشارف الثلاثينات من عمره، هو التعرف على علمائها، فقد كان واسعا للمعارف جامعًا للوثائق[3]، فكان يريد التتلمذ على يد علمائها، وكذا التنقيب في مكتباتها عن الكتب النادرة والمخطوطات التي لم تصل يده، وقد سأله تلميذه عبد الرحمان الجيلالي[4] عن الدافع الذي حذا به إلى القدوم للعاصمة فأجابه بالقول «إنني لما كنت بقريتنا الديس، كنت مشغوفا بمطالعة الكتب وأختار

---

[1] عبد الرحمان الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**...، ج4 مصدر سابق، ص426.

[2] محمد الحفناوي أبو القاسم ، **تعريف الخلف** ...، تح: خير الدين شترة، مصدر سابق، ص175؛ 179.

[3] أبو لحية نور الدين، **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والطرق الصوفية وتاريخ العلاقة بينهما**، ج1، مكتبة مدرسة الفقاهة، الجزائر، (د ت)، ص95.

[4] عبد الرحمان الجيلالي: وهو عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، وأمه مونيا بنت الحاج إبراهيم ابن الجبار، ولد يوم 09 فيبراير 1908م/ محرم 1326هـ بمدينة الجزائر، من عائلة متوسطة الحال ومتمسكة جداً بالإسلام. حفظ القرآن الكريم، ولم يكن قد تجاوز السن الرابع عشر على يد معلمه محمد بن البشير البوزيري، وبعد وفاة والده امتهن وهو شاب التجارة الداخلية والخارجية وخاصة تجاه إسبانيا وفرنسا، ثم تفرغ لطلب العلم ولا سيما علوم الدين في تفسير وفقه وأصول، وعلم الكلام وما يتصل به والأدب من البلاغة والبيان والعروض، وقد أخذ عن مشايخه بالعاصمة ومنهم: الميلود الزريبي والحفناوي أبا القاسم صاحب تعريف الخلف برجال السلف ومحمد بن أبي شنب، وكان دراسته بالجوامع والمدارس التالية: الجامع الكبير والجامع الجديد وجامع سيدي رمضان وجامع السفير وفي مدرستي الإحسان والهداية، ثم تولى الجيلالي مهنة التدريس في مدرسة الشبيبة الإسلامية وذلك خلال الثلاثينات من القرن العشرين. ينظر: بلقاسم ميسوم، "**الشيخ عبد الرحمان الجيلالي: فقيه المؤرخين الجزائريين عرض لحياته وتقديم لكتابه: تاريخ الجزائر العام**"، مجلة عصور، ع15، 2008-2009، ص86.

منها ما تميل إليه نفسي ويشتهيه خاطري، وكان فيها لمطالعاته هناك وختمته مراراً كتابان جليلان هما (كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون) لحاجي خليفة الثاني و(مقدمة) ابن خلدون، فأعجبت بهما معا غاية الإعجاب، وملكا علي الحواس فاشتدت رغبتي في تحصيل العلم، وتاقت نفسي إلى البحث عن من يُحسن من العلماء ما احتوى عليه هذان الكتابان من معارف فقلت: إن ذلك لا يوجد إلا في العواصم، فهذا ما دفعني إلى شد الرحال إلى مدينة الجزائر، باحثا عن عالم بصير بما هناك[1]».

كما كسب الحفناوي الكدح الطويل في تحصيل العلم ومرارة الغربة، فعرف دينه معرفة قوية ولم يكتف بتعلمه اللغة العربية فحسب، بل ساعدته ظروفه في أن يضيف إلى مشواره ورصيده العلمي تعلم اللغة الفرنسية التي أتاحت له التفتح أكثر فأكثر على ميادين المعرفة في شتى التخصصات.[2]

ومكنته من العمل بإدارة تحرير المبشر مع أستاذه وشيخه في العلوم العصرية السيد آرنو، وهو أحد أهم المستعربين في نهاية القرن 19م كان متوليا منصب مدير جريدة "المبشر"[3]. كما تولى أيضاً وظيفة رئيس المترجمين بالإدارة الفرنسية، كان الحفناوي قد لازم السيد آرنو فترة طويلة (12 سنة) وتعلم على يده اللغة الفرنسية والعلوم العصرية، وقد اعترف

---

[1] محمد الحفناوي أبو القاسم ، **تعريف الخلف** ...، تح: خير الدين شترة، مصدر سابق، ص180.

[2] نفسه.

[3] المبشر: هي صحيفة رسمية صدرت في 1847/09/15م وتوقفت عن الصدور نهائيا وكان ذلك يوم 21 جانفي 1926م باللغتين العربية والفرنسية، وهي أول جريدة عربية في المغرب العربي وثالث جريدة في العالم العربي كله غير أن مصدر هذه الصحيفة كان استعماريا، جريدة المبشر: لعبت دوراً ثقافيا معتبراً وأسندت رئاسة تحريرها إلى بعض الشخصيات الجزائرية المثقفة وبداية تقرب السياسة الاستعمارية من المثقفين المسلمين، وتشجيعهم على معالم الحضارة الإسلامية، وتتويع نشاطها الصحفي بإصدار صحف أخرى تقدم لها مساعدة مالية، مثل النجاح وكوكب إفريقيا وبعد ذلك تخصصت الجريدة في نشر المراسيم والقوانين لتصبح بمثابة جريدة رسمية، كما أن الإدارة الفرنسية أدركت أن لها دور فعال في السيطرة على الأمم. ينظر: محمد بن صالح الناصر، الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1854م، ألفا ديزاين قصر المعارض الصنوبر البحري المحمدية، الجزائر ، 1980، ص21. وينظر أيضا: محمد الحفناوي أبو القاسم، تعريف الخلف ...، تح: خير الدين شترة، مصدر سابق، ص148. وينظر: فتيحة بوغازي، "تصنيف الصحافة الاستعمارية في الجزائر"، مجلة أفكار وآفاق، مج11، ع1، 2013، ص57.

له الحفناوي بهذا الفضل وقال أنه علمه أيضاً التواضع القلبي والترفع على أهل الكبرياء ووصفه بأنه رجل حكيم[1]، فقد يكون أحد عملاء المكاتب الأهلية التابعة للحكومة العامة[2] ومن جهة أخرى يذكر العربي بوجلال في مقال له ترجم سيرة الحفناوي وكتابه أن آرنو هذا ينحدر من عائلة أرمان جاك لارواسان آرنو الذي عاش خلال الفترة من 1801-1854م[3] ويذكر أبو القاسم سعد الله أن آرنو اسم مستعار، وأنه لا يدري ما هو الاسم الحقيقي له.[4]

وفي العاصمة تعرف الحفناوي على فئة طيبة من العلماء كان منهم الشيخ علي بن الحفاف المفتي المالكي والمقرئ، والعارف بالحديث، وهو من فقهاء المالكية[5]، وقد تعلم على يده الكثيرون من بينهم الحفناوي[6].

والشيخ محمد القزادري هو إمام الجامع الكبير أيام إقامة الحفناوي بالعاصمة كان مدرساً بالجامع الكبير بالعاصمة وإمامه الأول.. وكان الحفناوي يقول عن شيخه القزاري أنه كان "ممن يضرب له المثل في الجزائر بالرزانة والعقل واتباع السلف الصالح ولما توفى أسِف عليه الغريب والقريب، لمكارم أخلاقه ولا سيما تلامذته في المدرسة الثعالبية قبل تسميتها هذا الإسم وتجديدها، ومن تلامذته فيها العبد الفقير"[7].

والأستاذ حسن بريهمات مدير المدرسة ولد في العاصمة بتاريخ مجهول قد يكون أول القرن التاسع عشر حوالي 1821، وكان من أوائل الجزائريين الذين دخلوا المدرسة العربية

---

[1] خير الدين شترة، **من أعلامنا** ...، مرجع سابق، ص147.

[2] نفسه.

[3] العربي بوجلال، "**أبو القاسم الحفناوي**"، جريدة الخبر، الجزائر، 31-8-1997، ص21، نقلا عن: خير الدين شترة، **من أعلامنا** ...، مرجع سابق، ص147.

[4] خير الدين شترة، **من أعلامنا** ...، مرجع سابق، ص147.

[5] علي بن الحفاف: ولد بمدينة الجزائر 1307هـ/1890م وبها نشأ وتعلم وحج فأخذ عن علماء الحجاز، إلتحق بمعسكر الأمير عبد القادر فولاه رئاسة ديوان الإنشاء بمليانة ثم ولي الإفتاء بالبليدة ، ثم ولي الإفتاء مدينة الجزائر وبها توفى ومن آثاره "منه المتعال في تكميل الاستدلال". ينظر: عادل نويهض، مرجع سابق، ص121.

[6] محمد الحفناوي أبو القاسم ، **تعريف الخلف** ...، تح: خير الدين شترة، مصدر سابق، ص192.

[7] نفسه، ص191.

– الفرنسية التي أنشئت سنة 1836[1]، وهو من أبرز الشخصيات العلمية والأدبية والسياسية في الجزائر الحديثة، جمع إلى تضلعه في العلوم الشرعية والآداب العربية مكانة أساسية وقانونية[2]. ويمتاز المترجم في معارفه بالتخصص في الأدب الأندلسي وعلم التاريخ كما أنه يحسن التكلم باللغة الفرنسية خطابا وجوابا،[3] فاقترح عليه الأخير أن يكون في صف إخوانه أساتذة المدرسة[4].

3-6- تعلمه في الزاوية العزوزية بتونس (نفطة):

إن تعطش الحفناوي للعلم أبى عليه أن يرضى بما لا يوجد في الجزائر بل توجه إلى خارجها وتحديدا إلى نفطة، حيث الزاوية العزوزية الشهيرة بالعلم والتصوف[5]، ليُتم دراسته بها على يد علي بن سيدي المكي بن عزوز وهو ابن أخت الشيخ الحفناوي، وكان قد جاء لزيارة جده لأمه الشيخ بن عروس بالجزائر، فانتهز الشيخ الحفناوي الفرصة وتتلمذ على يده[6] ويمكن القول بأن الحفناوي تثقف ثقافة واسعة فدرس أصول الفقه والتوحيد وتفسير القرآن واطلع في العلوم الأخرى كالأدب وغيرها[7].

غير أن ومن خلال تتبعنا للمسار التعليمي للشيخ الحفناوي لم نعثر على ما يثبت هذه الرواية اللهم إلاَّ إذا كان دافعها عائلي وحدثت في فترة متقدمة من عمره، وليس في مرحلة التلقي والتعلم، ويبدو أن الامر قد اختلط على صاحب هذه الرواية فالذي درس في نفطة هو أخوه المدني.[8]

4- شيوخه:

---

[1] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**...، ج4، مرجع سابق، ص515.

[2] محمد الحفناوي أبو القاسم ، **تعريف الخلف** ...، تح: خير الدين شترة، مصدر سابق، ص189.

[3] عبد الرحمان الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**...، ج4، مصدر سابق، ص438.

[4] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج6، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص169.

[5] خير الدين شترة، **من أعلامنا**...، مرجع سابق، ص121.

[6] **مدونة سوف أوراق الثقافية**، https://souf-aurak-takafia-blogspot.com، 2024/03/01، 20:15.

[7] خديجة بقطاش، مرجع سابق، ص640.

[8] خير الدين شترة، **من أعلامنا** ...، مرجع سابق، ص129.

من خلال ما مر معنا، وبعد تتبع مسار أبي القاسم الحفناوي التعليمي عبر مختلف أطوار حياته إلى أن استقر بمدينة الجزائر، نجد أنه تلقى العلم على طائفة كبيرة من علماء عصره ممن اشتهروا بنبوغهم وعلو كعبهم في مختلف أنواع المعارف[1]، وفيمايلي نحاول التعريف بأبرزهم:

4-1- الشيخ محمد أبو القاسم (بن عروس):

نذكر في البداية أن الشيخ الحفناوي أخذ عن والده وقد سبق الحديث عنه، فهو الذي كان أول من احتضنه ولقنه المبادئ الاولية من العلوم الشرعية واللغوية، وكان من أعيان علماء عصره في الآداب واللغة والفقه والتوحيد[2]، ويبدوا أن الحفناوي قد تأثر كثيراً بتجربة والده التي انتهى مصيرها في قرية الديس يعلم غلمان القرية القرآن الكريم وتهجئة حروف اللغة العربية، بعد أن كان يحفظ المتون الطوال يلتحق به مجموع الطلبة الآتيين من المشرق والمغرب يقتبسون من علمه ونوره[3].

4-2- الشيخ محمد الصديق الديسي:

هو محمد الصديق بن سليمان بن أبي العدل ابن رحمون بن القاسم بن محمد بن إبراهيم الغول[4]، ولد بالديس عام 1826م، أخذ الفقه عن أحمد بن أبي داود، ولازم الشيخ المازري بن بطو بن أبي القاسم جد الشيخ الحفناوي، وبعد أن كبر هذا الأخير وعجز تولى محمد الصديق إمامة جامع قرية الديس إلى أن توفى عام 1888م، وقد أخذ العلوم العربية على الشيخ محمد بن عبد الرحمان الديسي، وكان له ذهن وقاد وقريحه في طلب العلم لم تكن لأبناء عصره في بلده[5].

---

[1] نفسه، ص137.

[2] عبد الرحمان الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، ج4، مصدر سابق، ص425.

[3] خير الدين شترة، **من أعلامنا** ...، مرجع سابق، ص138.

[4] محمد الحفناوي أبو القاسم ، **تعريف الخلف**...، ج2، مصدر سابق، ص38.

[5] خير الدين شترة، **من أعلامنا** ...، مرجع سابق، ص141.

وكان الشيخ محمد الصديق الديسي صهرا للحفناوي فهو زوج فاطمة أخته ومن أولادها محمد ابن الصديق[1] لهذا نجد العلاقة بين الأستاذ وتلميذه كانت قوية، فقد قرأ عنه الدلائل الخيرات ومطالعة البضاوي والقسطلاني والإبريز في مناقب سيدي عبد العزيز الدباغ[2].

4-3- الشيخ محمد الطيب بن أبي داود:

وهو مؤسس زاوية بن أبي داود بزواوة، قال عنه الحفناوي انه كان "ذا فهم عميق ونظر دقيق وتحصيل كثير في الفنون العقلية والنقلية"[3].

4-4- الشيخ محمد بن أبي القاسم الهاملي:

هو محمد بن أبي القاسم بن رجيح بن محمد بن عبد الرحيم، أبو عبد الله الشهير بالهاملي[4]، صاحب زاوية الهامل ومؤسس معهدها الكبير سليل أسرة عريقة في العلم والتقوى من مشاهير الجزائر[5] ومن أكابر المشايخ العارفين وأعيان المحققين وأعلام العلماء الراسخين، صاحب الكرامة الخارقة والأحوال النفسية والأنفاس الصادقة والمعارف السنية وكان يلقب بقدوة، الفريقين[6]، توفي الشيخ الهاملي يوم الإربعاء ثاني محرم من سنة 1315هـ/1897م في بويرة السحاري، عندما كان عائدا من مدينة الجزائر إلى الهامل[7].

---

[1] نفسه، ص389

[2] خير الدين شترة، **من أعلامنا** ...، مرجع سابق، ص186.

[3] خير الدين شترة، **من أعلامنا** ...، مرجع سابق، ص142.

[4] عادل نويهض، مرجع سابق، ص335.

[5] خير الدين شترة، **من أعلامنا** ...، مرجع سابق، ص142.

[6] محمد الحفناوي أبو القاسم ، **تعريف الخلف**...، ج2، مصدر سابق، ص172.

[7] خير الدين شترة، **من أعلامنا** ...، مرجع سابق، ص143.

4-5- الشيخ المكي بن عزوز:

هو محمد المكي بن مصطفى بن عزوز البرجي ولد حوالي 1270هـ-1854م[1]، في مدينة نفطة بتونس تعلم في جامع الزيتونة وولي الإفتاء بنفطة[2]، وهو من كبار علمائها ورغم إقامته في تونس إلا أنه كان يزور الجزائر كل سنة ليلقي بها الدروس ويرشد الناس[3].

4-6- الشيخ محمد بن عبد الرحمان الديسي (البصير):

هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمان بن محمد الطيب بن عبد القادر بن أبي القاسم محمد بن سيدي إبراهيم الغول السلامي الجزائري، يمتد نسبه إلى سيدي إبراهيم صاحب الضريح المشهور بمدينة بوسعادة، تربى في حجر جدته وقد كف بصر في السادسة أو السابعة من عمره[4] ولم يمنعه كف بصره من المشاركة في ميدان التأليف مستعينا في ذلك بأخص تلامذته ومن كان يلوذ به من نجباء الطلبة فكان يملي عليهم وهم يكتبون كما في تدريس طلابه وتحرير مسائله بالكتابة والتأليف معتكفا على الطاعات[5].

4-7- الشيخ أحميدة بن محمد العمالي:

هو أحمد بن محمد المعالي المدعو بـ "أحميدة" من كبار علماء الجزائر في القرن 19م، ومن أشهر رجال الطريقة الخلوتية الرحمانية، ولد بالجزائر سنة 1227هـ/1812م.[6]

فهو قاضي ومحدث وحافظ من أكابر فقهاء المالكية في وقته، ينسب إلى جبل عمال من قرية فيه، بينها وبين الجزائر مسافة قليلة. ولي القضاء بمدينة الجزائر سنة 1850م ثم إفتاء السادة المالكية سنة 1857م، شارك في حركة الإصلاح الإجتماعي توفي في الجزائر

---

[1] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي...**، ج7، مرجع سابق، ص60.

[2] عادل نويهض، مرجع سابق، ص230.

[3] أبو القاسم الحفناوي، **تعريف الخلف ...**، تح: خير الدين شترة، مصدر سابق، ص190.

[4] عامر يحياوي، "**جهود الشيخ محمد بن عبد الرحمان الجزائري الديسي في شرح المتون النحوية بين التأثير النظري والتيسير التعليمي**"، مجلة حقائق للدراسات النفسية والاجتماعية، ع12، البليدة، (د. ت)،ص109.

[5] عبد الرحمان الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام...**، ج4، مصدر سابق، ص425.

[6] عبد المنعم القاسم الحسيني، **أعلام التصوف في الجزائر منذ البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى**، دار الخليل القاسمي، جامعة ورقلة، 1425هـ/2005م، ص103.

من آثاره (رسالة) في أحكام مياه البادية[1]، ورسالة في ترتيب أحكام القضاء وفتاوى تزيد مسائلها عن الثلاثمائة، سمع منه الحفناوي وتعلم عليه الأجرومية وكانت بينهما صلات ودٍ وثيقة ولقاءات متكررة تعرّف خلالها الحفناوي على سيرة طائفة من علماء الجزائر المتقدمين والمتأخرين الذين كان العمّالي يحفظ سيرتهم[2].

4-8- الشيخ الحفناوي بن علي بن عمر:

هو عالم مفتي صوفي مدرس مؤلف ولد بطولقة ونشأ في زاوية والده الشيخ علي بن عمر وتصدى للتدريس بحضرته وهو شيخ زاوية طولقة العثمانية خلال مرحلة دراسة الحفناوي، كانت تربيته وتعلمه على يد والد الحفناوي، حيث تركه والده صغيرا تحت رعاية ابن عروس هو وإخوانه[3]. فقال عنه الشيخ عبد الرحمن بالحاج هو "رجل عالم عامل تخرج على يده تلاميذ عديدة وحاز شهرة عظيمة" ومن آثاره شرح منظومة بهجت الشائقين للشيخ مصطفى بن عزوز، توفي سنة 1313هـ/1895م عند عودته من نفطة إلى طولقة ودفن بالزاوية العثمانية ولم يتجاوز الخمسين سنة.[4]

ومن مشايخه أيضا المسعود بن حماني ومحمد بن الصالح، الشلالي بن سيدي وعمه أحمد بن عروس، والتومي بن عبد الباقي، وخاله أحمد وخاله عبد القادر، وأبناء الشيخ المازري، ومحمد بن عبد الرحمان[5]، وكلهم من أهل الديس أولاد سيدي إبراهيم[6].

---

[1] عادل نويهض، مرجع سابق، ص242.

[2] خير الدين شترة، **من أعلامنا...**، مرجع سابق، ص148.

[3] خير الدين شترة، **من أعلامنا...**، مرجع سابق، ص141.

[4] عبد المنعم القاسم الحسيني، **أعلام التصوف** ...، مرجع سابق، ص147.

[5] محمد بن عبد الرحمان: ولد سنة 1270هـ/ 1854م تربى في حجر والدته السيدة خديجة بنت محمد بن الخرشي وعمته السيدة عائشة وجدته يتيماً حفظ القرآن وأتقن أحكامه بقراءة السبعة، ومخارج الحروف واشتغل بتعلم العلم يحفظ من المتون نحو الخمسين متن، منها الشيخ الخليل وبعض متن الرسالة. ينظر: محمد الحفناوي أبو القاسم ، **تعريف الخلف...**، ج2، مصدر سابق، ص240.

[6] خير الدين شترة، **من أعلامنا...**، مرجع سابق، ص148.

5- أخلاقه:

حاول الباحث خير الدين شترة رصد الصفات والأخلاق التي يتصف بها الحفناوي وخلص إلى القول أنه "من الصعب أن أذكر الخصال التي يتصف بها الشيخ أبو القاسم محمد الحفناوي لقلة المراجع المؤرخة للرجل وما سوف أتحدث عنه هو استنتاج من واقع كتابه تعريف الخلف برجال السلف، من خلال العبارات التي وظفها فهي نابعة من أخلاقه ومن شيمه كابن عائلة شريفة وقد رأيت أن الشيخ له من الخصال الحميدة ما يستحق التنويه[1]:

5-1- الخلق الكريم:

في مجال الحديث عن سيرة الشيخ تشير، بعض الفقرات إلى أن أخلاق الشيخ الحفناوي كريمة، فهو كغيره من علماء الديس الذين جابوا البلاد والذين درسوا في زاوية إيلولة مثل محمد الصديق بن أحمد بن سليمان أبي العجل... الديسي أخذ الفقه في زواية تاسيلت بايلولة، وأبي محمد بن الشيخ الحفناوي وأما أبو القاسم محمد الحفناوي فإنه الولي الصالح والقمر الواضح فبركاته ظاهرة وأحواله باهرة جمع بين علم الحقيقة والشريعة وكان من أهل الفضل والعبادة والاجتهاد[2].

5-2- التواضع:

إن التواضع فضيلة العلماء فالشيخ الحفناوي سنبلة حاملة للحب تتمايل لنقل ما تحمل فهو لا يشمخ رأسه عزوفا، صاحب المتواضعين وأضحى منهم ولم يكن سيدا حتى تعبد لهم فقد جمع بين التواضع والشرف، وكان همه ثمرة القناعة والراحة وثمرة التواضع المحبة وهذه أخلاق العربي[3].

---

[1] محمد الحفناوي أبو القاسم ، **تعريف الخلف...**، تح: خير الدين شترة، مصدر سابق، ص272.

[2] ص. بلعيد، "**قراءة في: تعريف الخلف برجال السلف للشيخ أبي القاسم محمد الحفناوي الديسي**"، revue campus N°09, université Mouloid Mammeri de Tizi-Ouzou,2008, P69.

[3] نفسه.

ومن صفاته الحميدة أنه كان دوما ينشد الخلوات الطوال مع نفسه، ويمعن في التأمل والتدبر، وكان له موضع جلوس في بلدته الديس يحن إليه عند السفر وحين إقامته لمدة طويلة بالعاصمة، وهو الموضع المقابل للجبل المطل على البلدة من الناحية الشرقية، وفرق في التأمل والتدبر في القرآن والفقه[1].

5-3- طلب العلم:

إن الشيخ أبو القاسم عالم من الطراز الاجتماعي فهو ليس من العلماء الذين يرومون التأريخ لحياتهم، بل آثر الآخرين، وما كتب عن نفسه، فهو العالم المفتي المترجم الذي أنكر هذه الخصال ورأى أنها تقلل من قيمته إذا وقع التركيز عليها، فالعالم يتواضع والناس أو الباحثون هم الذين يثنون عليه أو يقدحونه[2].

5-4- الزهد والقناعة:

اتسم كتاب الحفناوي بنقله لعبارات الزهاد وهي سمة العلماء الذين جمعوا بين الورع وكثير من العلم، فيجزى التواضع بالاجتهاد، وهذا ما تدلنا عليه العبارات المؤكدة من مثل: خلقت الدنيا عندهم فليسوا يعمرونها وماتت في قلوبهم فليسوا يحبونها، يبيعون ويشترون بها ما بقى لهم قليل دقير كل ما أنا فيه جنب توابا الله وجنبا عقابه[3].

فهو يتميز بالرضى والقناعة بما كتب له ... حيث جاء في إحدى رسائله قوله "مازالت قدمي ولا كثر قدمي، ولا أصحبت بندم على عدم، منذ نشأت في الجزائر قانعا بنصيبي مكتفيا به عن جيبي إلى يوم من أيام شهر فيفري الماضي إشتدت ضرورتي إلى ما أسد به ديونا حلت آجالها في آخر الشهر المذكور ورأيت المرتب لا يفي بمصروفي هنا ومصروف العائلة في الجزائر ويمين الأخ السيد المدني"[4]. لأنه يقول لي بيمين كذا أن تبعث

---

[1] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**...، ج3، مرجع سابق، ص88.

[2] ص. بلعيد، مرجع سابق، ص68.

[3] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج2، دار الغرب الإسلامي بيروت، 1998م، ص88.

[4] محمد الحفناوي أبو القاسم ، **تعريف الخلف** ...، تح: خير الدين شترة، مصدر سابق، ص277. أنظر إلى الملحق رقم 05.

لي كذا فلا أجد وجها للخلاص منه إلا أن أبعث له ما أراده ولا يفي بمقابلة الديون المترتبة في ذمتي ولكن المسلمين جزاهم الله خيراً لا يطلبونني إلا إذا دفعت لهم قليلا من كثير ومع هذا يقبلون الموجود والعذر معاً، أما اليهود فلا يسمعون كلاماً ومن جملتهم يهودي له عليا وثيقة يدفع قدره أول مارس فضاقت بي الدنيا ولم أجد حيلة للخلاص من ورطته فقلت لنفسي أكتب بطاقة للسيد أحمد بن شريف وأشرح له أطلب منه المبلغ المذكور سلف إحسان ففعلت بعد أن صدرت الرسالة بأمداح تملأ الجو وأشكر تملأ الشكائر وأشعار وأبعار وتسلفت له وتنازلت حتى لثمتُ زبل نعل حماره، فكانت النتيجة أن لا جواب إلى الآن مع أني عرفته بالواقع، وهو أن الأجل أول مارس فانتظرت إلى أول مارس وحل الأجل، واشتد الخجل فقلت هذي عقوبة إلهية على عدم التوجه إلية سبحانه وتعالى فتبت ورجعت إلى الله فاستغفرت وفعلت ماكنت نفعله عادة مع المطالبين بأن أقدم الأشد فالأشد وأستريح ولا أتملق لأحد غير من هو كالأب أو كالابن أو كالأخ، ولا يعد معهم تملقا أو تسلقا إلى ما عند... لإنتفع مع عدم الحاجة إنما التملق للأجانب والتسلق على غير الأحباب والأقارب، إنا لله راجعون تائبون مستغفرون نادمون[1].

6- وفاته[2]:

أصيب الحفناوي في آخر حياته بالشلل وعندما عجز الأطباء عن شفائه عاد إلى مسقط رأسه بقرية الديس حيث قضى آخر أيامه صابراً محتسبا[3]، واشتد عليه المرض إلى أن أسلم روحه إلى بارئها يوم الجمعة 21 ذي الحجة 1360هـ الموافق لـ 10جانفي 1942م وحسب شهادة تلميذه عبد الرحمان الجيلالي أن شهادة وفاته الرسمية سجلت بدوار أولاد

[1] أنظر الملحق رقم 05.

[2] أنظر الملحق رقم 06.

[3] محمد الحفناوي أبو القاسم ، **تعريف الخلف**..، تح: خير الدين شترة، مصدر سابق، ص163.

سيدي إبراهيم في 8 جانفي 1942م وهي شهادة مستخرجة من البلدية المختلطة ببوسعادة[1] وقد دفن بمقبرة الديس الظهراوية القديمة إلى جانب والديه.[2]

وخلاصة القول أن الشيخ الحفناوي أحد أعلام الجنوب الجزائري ولد بقرية الديس بقرب من مدينة بوسعادة سنة 1269هـ/1852م، يرجع نسبه إلى سلالة محمد ابن عروس وسيدي المازري، فقد كان يعيش بأسرة عريقة ومتينة ذو صلة بالعلم فوالده كان من علماء عصره في اللغة والأدب والفقه والتوحيد، دخل الكُتاب وحفظ القرآن الكريم عن الشيخ العلاّمة محمد بن عبد الرحمان الديسي، كما تتلمذ الحفناوي على يد والده وتميز شيخنا بسرعة الحفظ وأخذ مبادئه.

كانت بداية رحلته إلى طلب العلم إلى طولقة بنواحي بسكرة حيث التحق بزاوية سيدي علي بن عمر فأخذ فيها العلم عن أبي الشيخ مؤسسها ومكث فيها أربعة سنوات ومن زاوية طولقة انتقل إلى منطقة زواوة، حيث التحق بزاوية الشيخ السعيد بن أبي داود بآقبو، فقضى فيها ثلاث سنوات وأخذ فيها علوم القرآن مع دراسة الفقه والفلك عن الشيخ محمد بن داود الزواوي، بتوازي معها أخذ بعضا من الفقه من زاوية شلاطة القريبة منها.

وبعد جوله العلمية التي استغرقت سبعة سنوات عاد إلى مسقط رأسه الديس ومنها التحق بزاوية الهامل ليتتلمذ عن شيخها ومؤسسها العلاّمة سيدي محمد بن القاسم الهامل ويمكث بالزاوية سنتين يأخذ عن الشيخ التفسير بالحديث الشريف، وبعد رجوعه من زاوية الهامل تفرغ للمطالعة والبحث وتحقيق المسائل وتصحيحها على والده وعلى الشيخ محمد الصديق الديسي وأثر مكوثه بالديس زارهم العلاّمة الإمام الشيخ محمد المكي بن عزوز، وقد جاء لزيارة الجزائر، وبعدها انتقل إلى العاصمة وذلك نظرا لشغف الشيخ أبو القاسم بالكتب وأخذ العلم عن علمائها، والاطلاع عن خزائنها وفيها تعرف على مجموعة من الشيوخ منهم علي بن الحفاف المفتي المالكي، الشيخ القزادري، والشيخ حسن بريهمات، وغيرهم...

[1] **مدونة سوف أوراق الثقافية**، مرجع سابق.

[2] محمد الحفناوي أبو القاسم ، **تعريف الخلف**..، تح: خير الدين شترة، مصدر سابق، ص164.

فاقترحوا عليه أن يكون معلما في مدرسة الشيخ حسن بريهمات، فامتنع الشيخ الحفناوي عن ذلك وقال إنما جئت طالبا للعلم لا معلماً لكن الشيوخ ألحوا عليه فنزل عند اقتراحهم في منصب التدريس، ولم يطل فترة التدريس 5 أشهر حتى توفي الشيخ حسن بريهمات، وبعدها عاد إلى مسقط رأسه، فكانت من مميزاته وصفاته منير متميز عن بقيته بالخلق الكريم والتواضع والعلم.

الفصل الثاني

نشاطاته العلمية والعملية

1- نشاطه التدريسي بالعاصمة:

في عام 1897 تولى الشيخ الحفناوي التدريس في الجامع الكبير[1] وهو في عقده الرابع[2]، حيث قام بتدريس الشريعة الإسلامية والأدب والفقه والتوحيد والنحو والصرف والحديث واللغة والمنطق والفلك والحساب[3].

إن الحفناوي لم يكن من خريجي المدارس الشرعية الفرنسية وإنما من خريجي الزوايا المرابطية والصوفية[4]؛ فكان يُدرس الحفناوي لمستمعيه باب الشعائر الإسلامية من الفقه الإسلامي وفقا لسيدي خليل[5]، والمدرس جد مثقف، ويتمتع بفكر حر وواضح، وسلس في لغته، يُكيف دروسه بحيث تكون في متناول تلاميذه بشكل جيد، أما الذين يحضرون دروسه فكانوا من عمال المسجد البسطاء ومن عامة المسلمين الذين هم غرباء عن المدينة في الأصل[6].

لقد مدرسا للعامة من جهة ولتلاميذ المدارس العربية الفرنسية من جهة أخرى[7] فكان يترجم الوثائق من الفرنسية إلى العربية[8]، وأثناء مرحلة التدريس تتلمذة على يديه طلاب كثيرون أصبحوا في ما بعد أئمة ومفتيين وقضاة وعلماء ومدرسين[9].

---

[1] أنظر الملحق رقم 07.

[2] خير الدين شترة، **من أعلامنا** ...، مرجع سابق، ص152.

[3] شارف رقية، مرجع سابق، ص641.

[4] خير الدين شترة، **من أعلامنا**...، مرجع سابق، ص152.

[5] سيدي خليل: هو خليل بن إسحاق بن موسى بن شعيب العروف بالجندي ضياء الدين أبو المودة الإمام العلامة العالم العامل القدوة الحجة الفهامة حامل لواء مذهب مالك في زمانه بمصر ولد حوالي سنة 700هـ، جامعا بين العلم والعمل واستاذ ممتعا من أهل التحقيق ثاقب الذهن أصيل البحث، مشاركا في فنون من فقه وعربية وفرائض فاضلا في مذهبه صحيح النقل نفع الله به المسلمين توفيه سنة 749هـ. ينظر: خليل بن إسحاق المالكي، **مختصر العلامة خليل**، تر: أحمد نصر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 1981، ص 3-4.

[6] عبد الحميد زوزو، **نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصرة 1830-1900**، طبع بالمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2009، ص232.

[7] خير الدين شترة، **من أعلامنا** ...، مرجع سابق، ص153.

[8] خير الدين شترة، **من أعلام المقاومة الثقافية في الجزائر خلال الحقبة الإستعمارية أبو القاسم الحفناوي أنموذجا**، جامعة المسيلة، ص268. https://www.asjp.cerist.dz

[9] خير الدين شترة، **من أعلامنا** ...، مرجع سابق، ص156.

2- نشاطه الصحفي:

2-1- في جريدة المبشر:

يعتبر أبو القاسم الحفناوي أحد أبرز الشخصيات التي لعبت دوراً كبيرا في العمل الصحفي حيث استدعته الولاية العامة في منزله بالديس ليتولى التحرير في جريدة المبشر ولقد وظفته أسرة المبشر كونه شخصا له ثقافة غزيرة واستفادت من عمله وأدبه[1]، كان يقوم فيها بدور المحرر والمصحح[2]، كان أول عمل قام به محرراً في هذه الجريدة التي كانت تصدر باللغتين العربية والفرنسية وذلك لمدة إثنان وأربعين عاماً إبتداء من سنة 1884 إلى غاية 1926.

وقد نشر فيها مقالات بعضها مترجماً والبعض الآخر من إنشائه، في شتى المواضيع في الإقتصاد والاجتماع وغيرها[3]، فكتب الأخبار عن دمشق والشام[4] والسينغال بأفريقيا السوداء الغربية، كما كتب كذلك في المواضيع العلمية مثل داء الكلب لدى أطباء العرب[5] وتركيب الهواء وتركيب الماء[6] والإنسان والحيوانات المتساكنة[7].

ومن خلال تلك المواضيع التي تطرق إليها يتضح جليا أن الحفناوي عالماً بالمعنى التقليدي للكلمة وله أسلوب جيد بمستوى ذلك الوقت، وبموسوعيته وفر للجريدة مادة خبرية أخرى سواء بتوجيه الفرنسيين أو بدون توجيههم حيث كان يرجع إلى كتب الأدب والأخبار وتاريخ العلم[8].

---

[1] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج8، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص12.

[2] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**...، ج3، مرجع سابق، ص89.

[3] خديجة بقطاش، مرجع سابق، ص49.

[4] جريدة المبشر، 12 فبراير 1887، نقلا عن الزبير سيف الإسلام، **تاريخ الصحافة**...، مرجع سابق، ص142.

[5] جريدة المبشر، 26 مارس، 1887، نقلا عن نفسه، ص143.

[6] جريدة المبشر، 11 أغسطس، 1888، نقلا عن نفسه.

[7] جريدة المبشر، 30 مايو 1891، نقلا عن نفسه.

[8] محمد الحفناوي أبو القاسم ، **تعريف الخلف**...، تح: خير الدين شترة، مصدر سابق، ص208.

مثلما كان يرجع للحوادث والنصوص والطرائق القديمة والحديثة، فكانت الموضوعات التي عالجها في المبشر حية وفي الأغلب ذات صلة بوقائع الساعة، منها دعوته لقومه إلى تعلم اللغة الفرنسية، وبذلك فإن الحفناوي من خلال دعواته إلى قومه بضرورة التعلم، ومن الثقافة والحضارة الفرنسية كان يسعى إلى اقناع المترددين أو الخائفين على مصير أولادهم من دخول المدارس الفرنسية[1].

واستمر الحفناوي وهو يعيش في عالم الصحافة ويرافق جريدة المبشر إلى أن أدمجت هذه الجريدة مع جريدة النشر الرسمية وصدرت مكانها الجريدة الرسمية الجزائرية وبتوقف هذه الجريدة[2] عن الصدور يوم 21 جانفي 1926م[3]، توقف الحفناوي عن النشاط الصحافي بها[4].

2-2- عمله في كوكب إفريقيا:

كما تعاون الحفناوي مع الشيخ محمود بن كحول في جريدة كوكب إفريقيا[5]، وهي جريدة من الجرائد العربية التي استطاعت الوقوف على قدميها طويلاً وذلك لتوافقها مع السياسة الاستعمارية، فكانت تعني بتتبع تنقلات الولاة الفرنسيين ونشر أخبارهم باهتمام حريص وتقصي السياسة الاستعمارية والدعاية لها حتى في المستعمرات البعيدة وتركيز أضواء على العلاقات السياسية بين فرنسا وتركيا كسبا لقلوب المسلمين الجزائريين، وكانت لا تختلف على أي صحيفة إستعمارية أخرى إلا بلغتها العربية صدرت في 17 ماي 1907 بالجزائر العاصمة تحت إدارة محمود كحول[6].

---

[1] خير الدين شترة، **من أعلامنا** ...، مرجع سابق، ص163.

[2] الزبير سيف الإسلام، **تاريخ الصحافة** ...، مرجع سابق، ص143.

[3] محمد بن صالح الناصر، مرجع سابق، ص21.

[4] الزبير سيف الإسلام، **تاريخ الصحافة** ...، مرجع سابق، ص143.

[5] خير الدين شترة، **من أعلامنا** ...، مرجع سابق، ص165.

[6] فتيحة بوغازي، "**تصنيف الصحافة** ..."، مرجع سابق، ص58.

وأغلب ما نشر فيها الحفناوي من مقالات على قلتها كان يغلب عليها الطابع العلمي والتربوي والديني المتمثل في الوعظ والإرشاد بمعنى أن جميع كتاباته كانت تنادي بضرورة التعلم وتربية الأخلاق الحسنة من دون الخوض في المشاكل السياسية وتكهناتها[1].

2-3- طريقته في الترجمة الصحفية:

إن طريقة الحفناوي في الترجمة الصحفية كانت تشبه طريقة الأقدمين[2]، حيث عمد إلى اقتباس فقرات وربما صفحات متتالية من الكتب القديمة التي تضمنت أحداث الحياة الشخصية التي يترجمهم له وقد يتبعها بفقرات أخرى من كتب متنوعة فيها إضافة أو توضيح أو إسهاب في بيان صفة من صفات المترجم له[3].

إن ما قدمه من تراجم للعديد من علماء وأدباء وصوفية الجزائر قاطبة لدلالة لما كان يشعر به في أغوار نفسه، فعمل الحفناوي يدخل دائرة إحياء الذاكرة[4]، إعتمد فيها على السجع الممل أحيانا مما جعل طريقته بعيدة عن المنهج العلمي في البحث والدراسة.

ومما يؤخذ عليه منهجيا أنه كان في أغلب الأحيان لا ينتقد ولا يعلق على الأخبار التي تأتي بها[5]، فترجمته قد تطول لعدة صفحات، وقد تقتصر لسطرين، أو ثلاثة واغفاله في كثير من الأحيان ذكر المولد أو الوفاة والآثار الأدبية والصوفية للعالم، أما عن أمانته العلمية في التوثيق فإنه كان يذكر تحت كل عالم الكتاب الذي نقل منه الترجمة، فكان يترجم الوثائق من الفرنسية[6] إلى العربية، استطاع ترجمة بعض البحوث العلمية كالكتاب الذي ألفه الطيب ريسر في تربية النحل والذي سماه "رفع المخل في تربية النحل" كتاب في تدبير

---

[1] خير الدين شترة، **من أعلامنا** ...، مرجع سابق، ص166.

[2] خير الدين شترة، "**قراءة نقدية لكتاب أبو القاسم الحفناوي تعريف الخلف برجال السلف**"، قسم التاريخ، جامعة المسيلة، ص40، المقال موجود في الموقع الالكتروني: http://www.asjp.cexist.dz

[3] محمد الحفناوي أبو القاسم ، **تعريف الخلف**...، تح: خير الدين شترة، مصدر سابق، ص332.

[4] عبد القادر عزة، "**علماء حوض الشلف بما ورد في المدونة تعريف الخلف برجال السلف لأبي القاسم الحفناوي**"، http://www.univ.chlf.dz ، ص5.

[5] خير الدين شترة، **قراءة نقدية** ....، مرجع سابق، ص41.

[6] عبد القادر عزة، مرجع سابق، ص6.

الصحة سماه "الخير المنشر في حفظ صحة البشر" بالاشتراك مع الفرنسي (جون ميرانت[1]) وكلاهما مطبوع بمطبعة فونتانا وله من غير المطبوع كتاب "المستطاب في أقسام الخطاب" و"غوص الفكر في حروف المعاني" وهو رجز مشروح بقلمه أسماه "صوغ الدرر على غوص الفكر" وله أرجوزة نظمها في جغرافية ابن خلدون[2].

3- نشاطه الثقافي:

ساهم الشيخ الحفناوي في النهضة الجزائرية في مطلع القرن 20م وكان من مظاهرها إنتعاش الصحافة العربية وتأسيس النوادي الثقافية والجمعيات المدنية ذات الطابع الاجتماعي والديني ومن بينها الجمعية الراشدية[3] التي كان مشاركا في أغلب نشاطاتها بإلقاء المحاضرات وتنشيط الندوات فألقى محاضرة سنة 1907 باللغة العربية تحت عنوان فرنسا: الحرية وتفوق اللغة الفرنسية[4].

لقد ساهم من خلال نشاطاته الثقافية المكثفة في الجمعيات والنوادي في يقظة الجزائر خلال هذه الفترة، وذلك بالتركيز على التعليم والتقدم والتحرر من أجل تطور المجتمع الجزائري[5]، كما أنه من رواد الصحافة الإسلامية في الجزائر[6]، وأما عن جهوده الثقافية

---

[1] جون ميرانت: مستشرق فرنسي عسكري متخصص في شؤون الأهلية، ينظر: شارف رقية، مرجع سابق، ص645. وينظر أيضا: عبد الحكيم طويلب، **الملامح الصوفية في كتاب تعريف الخلف برجال السلف لأبي القاسم الحفناوي**"، مجلة المعيار، مج26، ع6، المركز الجامعي بمغنية، 2020، ص223.

[2] شارف رقية، مرجع سابق، ص641.

[3] الجمعية الراشدية: هي أول جمعية برزت في الجزائر، تأسست عام 1902 من قبل أحد المكونين من الجزائر المسمى سوري وتعرف أيضاً على أنها جمعية ودادية، وقد عرفها آخرون أن هذه الجمعية تأسست على يد بعض الشبان الجزائريون المتخرجون من المدارس الفرنسية الجزائرية الذين كانوا يلقون تأيين من الفرنسيين المتعاطفين مع الجزائريين. ينظر: قمير قوادرية، **الجمعيات والنوادي الثقافية ودورها في الحركة الوطنية (1900-1939)**، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير تخصص تاريخ معاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة 8 ماي 1945م، قالمة 2014-2015م، ص42.

[4] خير الدين شترة، **من أعلامنا** ...، مرجع سابق، ص166.

[5] خير الدين شترة، **من أعلامنا** ...، مرجع سابق، ص166.

[6] عبد العزيز ثارة، **النشاط الإصلاحي والتعليمي بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بمنطقة الجلفة (1931-1956)**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ المعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أحمد دراية، أدرار، 2020-2021، ص22.

الأخرى كالتأليف فقد كان الحفناوي مؤلفا وكاتبا لامعا وصحفيا نشيطا وشاعرا مجيدا مؤرخا ومحققا[1].

ألف كتاب تعريف الخلف برجال السلف قسمان بمجلد واحد، حيث جمع في طياته تراجم واسعة للعلماء والأدباء من مختلف العصور كما استعان بمادة كبيرة من المصادر وتنوع المخطوطات والمراسلات والوثائق ومنها ما أخذها سماعاً من العلماء وشيوخ الزوايا[2]، وفي قول عبد الرحمان الجيلالي حيث ذكر أنه كتبه كله وهو عن طهارة كاملة إلى حد أنه كان يقلل جهده من شرب الماء حتى لا يضطر إلى النهوض عن العمل لإسباغ الوضوء،[3] كما قدم دروس في علم الربع المجيب في الفلك والتوقيت ومواقف العضد[4] وإضافة إلى كل هذا النشاط العلمي والثقافي الزاخر بالإنتاج والحيوية فقد بذل الحفناوي جهداً ثقافيا أخر لم يُشر إليه بعض من اهتم بالبحث في سيرته وهو اجتهاده في جمع المخطوطات وقراءتها وفحص محتوياتها[5] والتأكد من المادة العلمية التي نظمتها[6].

لذلك إعتبر البعض أن الحفناوي هو من العلماء الجزائريين المتأثرين بالنهضة العربية ومساهم في دفع عجلة النهضة إلى الامام، واهتم بإحياء التراث العربي القديم، كما أنه كان كثير الإطلاع على المستجدات والمخترعات الحديثة، وشغوفا بفن الرسم والتصوير معجبا بالفكر الصوفي وأعمال علمائه من آراءه فلسفية، قدمها إلى طلبته بطريقة محترمة مع شرح تفاصيلها ودقائقها حسب إمكاناته العقلية[7].

---

[1] خير الدين شترة، **من أعلامنا** ...، مرجع سابق، ص168.

[2] عبد الحكيم طويلب، مرجع سابق، ص223.

[3] عبد الرحمان الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**...،ج4، مصدر سابق، ص433.

[4] مراد بن حمودة، "**المنهج الإصلاحي في فكر الشيخ عبد الحكيم بن سماية 1866-1933**"، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات الجزائرية ، مج3، ع4، جامعة سيدي بلعباس، 2017، ص102.

[5] خير الدين شترة، **من أعلامنا**...، مرجع سابق، ص168.

[6] نفسه.

[7] عبد الكريم بوصفاف، **معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرون**، ج2، دار مداد يونيفارسيتي براس، قسنطينة، 2015، ص71.

كما أنه ساهم أيضًا في اللجنة التي شكلها "موريس فيوليت"[1] من رجال القانون والقضاء الفرنسية وثلة من كبار العلماء الرسميين لتدوين المعاملات في الفقه الإسلامي بصفة مجلة قانونية، كان يرجع القضاة والوكلاء والخصوم إلى بنودها[2].

ومن أنشطته داخل المجتمع مساهمته في معالجة قضايا المجتمع الجزائري ذات البعد الديني[3]، كتلك الفتوى التي استفتته فيها الولية بورقيقة نفيسة بنت محمد في قضية إصابتها من طرف المرحومة بالعربي خداوج بنت عبد القادر التي توفيت عن ورثة هل يورثها كربيش الحاج حميدو بن محمد الذي طلقها أولا وثانيا وثالثا رسميا لدى قاضي الجزائر وحرمت عليه ولا ترجع إليه بعد أن يطلقها زوج آخر وترضى بتزوجها به على يد قاضي، ورد عليها حيث قال: لا يختلف إثنان مسلمان في كونها أي المرحومة محرمة عليه شرعاً حتى تُرضى على يد حاكم شرعي برجوعها إلى عصمته بعد أن تنكح زوجاً غيره ويطلقها الزوج الثاني لدى القاضي أن لم يكن الأمر على هذا الوجه الشرعي فلا نكاح بينها وبين الزوج الاول ولا إرث.[4]

4- نشاطه الجمعوي:

لقد برزت بذور النهضة وأفكار التجديد في الجزائر أول ما برزت بإنشاء النوادي التي سبق نشؤها بكثير نشؤ الصحافة العربية، وأن النوادي التي أنشأت في العاصمة وفي قسنطينة إبتداء من عام 1893، كانت الأرضية التي نبتت فوقها فكرة إنشاء صحافة جزائرية

[1] موريس فيوليت: غالبا ما تتفق المراجع والمصادر المهتمة بتاريخ الجزائر، والعلاقات الفرنسية على اعتباره سينانورا ماسونيا وعضواً قياديا في الحزب الاشتراكي الفرنسي، كان حاكما عاما للجزائر من سنة 1925 إلى 1927، وأصبح فيما بعد عضوا في مجلس الشيوخ الفرنسي، وزيرا للدولة المكلف بشؤون الجزائر في حكومة الجمعية الشعبية سنة 1936 وكان له دوراً كبيراً في ترسيخ سياسة فرنسا في المستعمرات. ينظر: لمياء بوقويوة، "**مشروع موريس فيوليت مؤامرة سياسية اجتماعية ضد الجزائر**"، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، ع4، جامعة باتنة ، 2012، ص315.

[2] خير الدين شترة، **من أعلامنا** ...، مرجع سابق، ص170.

[3] نفسه، ص171.

[4] ينظر الملحق رقم 08.

عربية، لأن هذه النوادي كانت بمثابة أماكن للقاء جميع المثقفين نخبة ومحافظين، الأمر الذي مكنهم من تبادل الآراء في مختلف الميادين السياسية والاجتماعية والثقافية[1].

ومن أقدم هذه النوادي نادي الراشدية الذي نشط فيه الحفناوي كثيراً، وقد أسس عام 1893 بالعاصمة، وتطور هذا النادي شيئا فشيئا ثم أصدر نشرة خاصة بأعضائها تصدر باللغتين العربية والفرنسية، وكان الحفناوي من ضمنهم حيث كانت هذه الجمعية متفتحة على روح العصر ويظهر ذلك من خلال المحاضرات سنة 1907م ساعدنا لفهم مساهمتها فقط بل على ملامح النهضة الجزائرية أيضا خلال العهد الذي ندرسه فقد حاولت تطوير المجتمع الجزائري وأن تجعل منه حديث ومتنورا بدل مجتمع قديم[2].

كما أنها لعبت دور مهم ساهم في سير التعليم ونشر الأخوة فقد كانت أهدافها مركزة على صبغة سياسية لمحاولة تعريف هؤلاء على الثقافة الفرنسية لتمكن من إدماجهم في الوسط الفرنسي فهي جمعية وطنية تضم قدماء تلاميذ المكاتب العربية الفرنسية ومساعدة المتخرجين من المدارس المختلطة الفرنسية الأهلية وتأسيس دروسها[3].

وإلى جانب الجمعية الراشدية أنشأت الجمعية التوفيقية[4] التي لعبت دورا في إحياء إنتماء للثقافة العربية وتعريف الشبان الجزائريين بالحضارة الإسلامية هذا من جهة، ومن جهة أخرى تهدف إلى التقريب بين العنصر الجزائري والعنصر الأوروبي ويمكن تحديد تاريخ توقف الجمعية عن النشاط ابتداء من 1912م وذلك لصدور الأحكام العرفية[5] انظم إليها الكثير من المثقفين.

---

[1] محمد الحفناوي أبو القاسم ، **تعريف الخلف...**، تح: خير الدين شترة، مصدر سابق، ص218.

[2] أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930**، ج2، ط4، دار الغرب الإسلامي، 1992، ص 139-140.

[3] بشير بلاح، **تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1989م**، ج1، دار المعرفة، القاهرة، 2006، ص332.

[4] الجمعية التوفيقية: أنشأت بالعاصمة سنة 1908 وأعادت النخبة العصرية تنظيمها سنة 1911م، وأعدت في السنة التالية 200 عضو، وقد إهتمت بالتاريخ والأدب والعلوم والقضايا الاجتماعية، وتولى رئاستها الدكتور ابن التهامي. ينظر: نفسه.

[5] عمار بوحوش، **التاريخ السياسي الجزائري منذ البداية لغاية 1962م**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص264.

فالشيخ الحفناوي كان عضوا مساهما ونشيطا في عديد الجمعيات والنوادي خصوصا منها الراشدية وجمعية أوقاف الحرمين الشريفين[1] أنشأت كجمعية خيرية بغية تمكين الجزائريين آنذك من وقف الكثير من ممتلكاتهم التي داخل المدينة وخارجها، مما جعلها في صدارة المؤسسات الخيرية من حيث عدد الأملاك التي تعود إليها أو الأعمال الخيرية التي كانت تقوم بها، فقد كانت تقدم الإعلانات لقاصدي الحرمين الشريفين أو المارين بالجزائر وتتكفل بإرسال حصة من مداخيلها إلى فقراء الجزائر بالحرمين الشريفين في مطلع كل سنتين عن طريق مبعوث شريف مكة أو بواسطة أمير ركب الحجاز، كما أوكل إليها مهمة حفظ الأمانات والإنفاق على ثلاثة مساجد حنفية بالجزائر[2].

وكان من أهدافها البحث عن جميع الأوقاف والأحباس التي تبرع بها أولوا البر باسم الحرمين (تونس– الجزائر– مراكش)، إضافة إلى النظر في سفر الحجاج إلى آداء فريضة الحج، وتحديد هذا السفر ذهابا وإيابا، والجهات التي تمر بها وتعيين طريقه من زيارة المدينة وما يتبع ذلك[3]، كما أنه كان ينشد نشر التعليم والمساعدة على تحرير الشعب الجزائري من الجهل والأمية، من خلال تنظيم دروس في التعليم العام والمهني وعقد محاضرات علمية وأدبية وخلق جمعيات خيرية والدعوة إلى العمل على محاربة الآفات الاجتماعية ونشر ثقافة السلم والتعاون ومعالجة الظواهر اللاأخلاقية، ومساعدة الجزائريين على إبراز مواهبهم الأدبية والعلمية[4].

---

[1] جمعية أوقاف الحرمين الشريفين: تعد جمعية أوقاف الحرمين الشريفين من حيث نشأتها أقدم المؤسسات الوقفية فهي تعود إلى ما قبل العهد العثماني كما تعتبر هذه المؤسسة من أهم مؤسسات الوقف من حيث عدد أوقافها ومداخيلها، فهي تحتل المرتبة الأولى، إذا كانت تبلغ تنفيذها في اواخر العهد العثماني ثلاثة أرباع الأوقاف الموجودة أنذك. ينظر: خيرة صافة "**التأصيل الفقهي والتكوين التاريخي للوقف**"، مجلة الفقهي القانوني والسياسي، مج3، ع2، قسم الحقوق بملحقة السوقر بجامعة تيارت، 2022، ص02.

[2] كمال لحمر، "**دور الوقف في دعم المؤسسات الخيرية بالجزائر**"، مجلة الاجتهاد للدراسات القانونية والاقتصادية، مج7، ع4، جامعة سطيف2، 2018، ص509.

[3] خير الدين شترة، **من أعلامنا...**، مرجع سابق، ص174.

[4] خير الدين شترة، **من أعلامنا...**، مرجع سابق، ص172.

ومن الوثائق التي اطلعنا عليها تلقى الحفناوي دعوة من رئيس جمعية أوقاف الحرمين الشريفين، وهو قدور بن أحمد غبريط، لحضور الجلسة السنوية للجمعية في 19 نوفمبر مما يفيدنا أنه كان عضواً فعالاً فيها.[1]

5- توليه وظيفة مفتي المالكية:

ولما توفي المفتي المالكي الشيخ محمد أرزقي ابن ناصر توجهت الأنظار إلى الشيخ الحفناوي ليتولى هذا المنصب الرفيع ووقع الاجتماع على تعيينه فقبله ولم يرفض[2]، فتولى الفتوى المالكية سنة 1925[3]، وكان هذا المنصب من المناصب الدينية الهامة جداً في ذلك الوقت، حيث لا يتقلده إلا من كان متمكناً من ناصية العلوم الشرعية خبيراً بالقضايا التي تعرض للناس في حياتهم الاجتماعية، ويشهد له معاصروه بصرامته في الحكم والإفتاء وهو وضيف رمزي وإلى حد ما سياسي[4].

عرف بالعمل الدائب وإتقان المهنة والتفرغ لها[5]، كما أنه وصلته العديد من التهاني الخاصة من بينها رسالة السيدة سكينة بنت الشيخ المكي بن عزوز إلى خالها الحفناوي في 21 يوم الإثنين رمضان سنة 1343هـ/1925م وأهم ما جاء فيها بعد إهداء التحية اللائقة بجنابكم السامي إنني بكل سرور أهدي إلى فضيلتكم خالص تهانينا حيث تشرفت خطة فتوى المالكية بتقلدكم إياها فيا بشرانا ويا سرورنا بهذا الخبر الذي أثلج صدورنا وملأه فرحا فالحمد لله على هاته النعمة بل النعم التي أنعم بها على الجميع وجدير بالخطة أن تهنئ هي بكم لا أنتم بها.[6]

---

[1] أنظر الملحق رقم 08.

[2] عبد الرحمان الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام...**، ج4، مصدر سابق، ص429.

[3] عمر بن قينة، مرجع سابق، ص126..

[4] خيرالدين شترة، **من أعلامنا...**، مرجع سابق، ص172.

[5] عمر قينة، مرجع سابق، 126.

[6] أنظر الملحق رقم 09.

6- علاقاته في محيطه العلمي والعملي:

6-1- علاقته بأصدقائه:

لقد كان الحفناوي على الرغم من كثرة أصدقائه، وتلاميذه يُؤْثر العزلة كما كانت علاقته مع الكثير من معاصريه لم يكن ذا ميل إلى الحط من سمعة الآخرين ولا إلى تسفيه آرائهم وهو ما لاحظناه حينما ترجم لأغلبهم في كتابه (تعريف الخلف برجال السلف)[1] لمس في فكر بعضهم الموعلين في الفكر الطرقي خصوصا ضلالا أو سجلات (قولية أو مدونة) مع معاصريه أو حتى مع المختلفين معه في علاقات علمية فكرية هو شيخه عبد الرحمان الديسي حيث كانت بينهما مراسلات كثيرة تضمنت في محتواها قضايا عدة (علمية اجتماعية، دينية، سياسية وثقافية وعائلية) وما نملكه حاليا من هذه المراسلات هو أربعة فقط ومنها من أدرجها في كتابه[2] تعريف الخلف: الرسالة الأولى كانت سنة 1305هـ/1887م أجابه فيها الديسي عن سؤال له حول تراجم لبعض علماء الناحية، والرسالة الثانية كتبها إليه إجابة عن سؤال في الموضوع نفسه، وقد طلب منه الترجمة لمن يعرف من العلماء في الجنوب دون ذكر الأشخاص المعنيين، فأجابه عبد الرحمان الديسي بمجموعة تراجم شديدة الإيجاز، أما الرسالة الثالثة فهي الأخرى قد أجابه فيها عن قضايا فقهية ومسائل فكرية... والرسالة الرابعة كانت عام 1907م/1325هـ بمناسبة صدور الجزء الأول من كتابه (تعريف الخلف برجال السلف)[3].

أما من ناحية العلاقات المهنية فيأتي على رأس قائمة أصدقائه ورفاقه الشيخ محمود كحول فقد أظهر حنكة وخبرة خلال عمله الصحفي ثم تولى مع لويس بودي إنشاء تقويم الجزائري فأصدر منه ثلاثة أجزاء وتولى الشيخ كحول أيضاً الإمامة والتدريس في مدرسة

---

[1] محمد الحفناوي أبو القاسم ، **تعريف الخلف** ...، تح: خير الدين شترة، مصدر سابق، ص243.

[2] أبو القاسم سعد الله، **مدارس الثقافية العربية في المغرب العربي 1954 دراسة مركزة على الجزائر**، مجلة الثقافة، ع79، ص 246.

[3] محمد الحفناوي أبو القاسم ، **تعريف الخلف** ...، تح: خير الدين شترة، مصدر سابق، ص244.

الجزائر الشرعية الفرنسية، ثم الفتوى حيث صار مفتياً سنة 1927م[1]، ومن أصدقائه الشيخ أحمد المختار بن الموسوم الذي إلتقى به سنة 1321هـ/1904م واجتمع به وأخذ منه سيرة والده شيخ زاوية قصر البخاري التي تأسست على يد الشيخ الميسوم في حدود سنة 1865م وتولى أحمد المختار أمر الزاوية بعد وفاة والده الميسوم في 24 ربيع 1300هـ/ فيفري 1883م[2].

كما كانت علاقته قوية مع مفتي فاس الشيخ محمد بن قاسم القصار الفاسي والفقيه سيدي أبي القاسم سيدي إبراهيم الحنيفي الولي عند الناس بلا شك والله أعلم بذلك، وقلوبنا تشهد بذلك الشيخ سيدي إبراهيم الساكن في ناحية إحنيف، مشهور معلوم أحواله مرضية وأنفاسه زكية ولطائفه وهيبة وأولاده مشهورون بالصلاح إلى الآن[3].

وعندما كان الشيخ الحفناوي عائدا إلى أرض الوطن من مهمة بفرنسا على متن سفينة[4]، في ميناء مرسيليا يوم 27 أوت 1903[5]، صادف شيخاً وقور تلوح عليه أنوار المعرفة في مظهر الشرقي، فيقول رأيته منفرداً بنفسه في ناحية من الباخرة، فقلت له في نفسي هذا رجل شرقي غريب يقصد الجزائر، فتقدمت نحوه وسلمت عليه، وكان ذلك دون إعلام مسبق حيث أننا تعارفنا داخل الباخرة، فتحدثت معه في شتى المواضيع حديث عاما إلى أن خضنا في نشأة الكون العجيب وما اشتملت عليه من معجزات، وفي أثناء الحديث[6] سقت الآية الكريمة ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالاَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَٰهُمَاۖ ﴾[7]

---

[1] محمد الحفناوي أبو القاسم ، **تعريف الخلف** ...، تح: خير الدين شترة، مصدر سابق، ص244.

[2] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**...، ج4، مرجع سابق، ص 76-77.

[3] محمد الحفناوي أبو القاسم ، **تعريف الخلف** ...، تح: خير الدين شترة، مصدر سابق، ص247.

[4] مدونة سُوف أوراق الثقافية، مرجع سابق.

[5] إبراهيم لونيسي، "**زيارة الشيخ الإمام محمد عبده إلى الجزائر سنة 1903**"، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية، مج7، ع2، جامعة سيدي بلعباس، 2021، ص126.

[6] عبد الرحمان الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**...، ج4، مصدر سابق، ص432.

[7] سورة الأنبياء، الآية: 30.

وسألت صاحبي عن فهمه لهذه الآية الشريفة؟ فاندفع يتكلم عنها من نواحي شتى[1]، إلى أن رأيته وضع كفه على أختها فضمها إلى بعضهما، ثم فصلهما، وقال لي: "كانتا هكذا فصارتا هكذا" فقلت في نفسي لعله محمد عبده[2]!

وقد كنا قرأنا في الجزائر وأن الأستاذ الإمام هو عازم على زيارة الجزائر[3] وتونس في هذا الصيف، فقلت له: ألست فلان فقال نعم، فحصل التعارف بيننا على مائدة القرآن وحينما اقتربا من الساحل وحان النزول من الباخرة اتفقنا وتواصينا على كتم هذا اللقاء وهذا التعارف الحاصل بيننا[4]، وهناك من فسر هذا اللقاء بقوله أن الشيخ الحفناوي كان أول جاسوس تصدره الإدارة الاستعمارية لمراقبة الشيخ الإمام وهو داخل الباخرة[5]، وعند وصول الباخرة إلى الجزائر فارقه الحفناوي الذي انتهت مهمته[6]، ليتولها آخرون يعدون عليه خطواته وأنفاسه، ويكتبون عليه وعن زواره التقارير ويقدمونها للحكومة الفرنسية[7]، وفي كلامه إتهام صريح للحفناوي.

---

[1] عبد الرحمان الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام...**، ج4، مصدر سابق، ص432.

[2] محمد عبده: ولد الشيخ محمد عبده عام 1849م لأب تركماني الأصل وأم مصرية تنتمي إلى قبيلة بني عدي العربية، في حصة شبشير من قرى إقليم الغربية، ثم نشأ في قرية صغيرة من ريف مصر وهي قرية محلة نصر بمحافظة لبحيرة، أرسله أبوه كسائر أبناء قريته إلي الكتاب، حيث تلقى فيها دروسه الأولى على يد شيخ القرية، وعندما شب الإبن أرسله أبوه إلى طنطا ليحسن التجويد في الجامع الأحمدي بعد أن حفظ القرآن الكريم، ويدرس فيه شيئا من علوم الفقه واللغة العربية، عين مدرسا للتاريخ بمدرسة دار العلوم ودرس اللغة العربية في مدرسة الألسن الخديوية، فيدرس أيضا مقدمة ابن خلدون في دار العلوم وكان هدفه ليتمكن من بث أفكاره الإصلاحية في السياسة والمجتمع، توفي سنة 1905م. ينظر: **محمد مصباح**، "**الشيخ الإمام محمد عبده وآثاره في الفكر الإسلامي المعاصر**"، Qudus International journal of Islamic Studies، مج3، ع2، الجامعة الإسلامية الحكومية بقدس جوى الوسطى إندونيسيا، أوت 2015م، ص228.

[3] تعد زيارة محمد عبده للجزائر في أوت 1903م أهم زيارة مشرقية للجزائر إبان الحرب الاستعمارية، إذ رغم قصرها تركت أثارها الواسع في نفوس الجزائريين ويظهر ذلك من خلال تهاطل الزوار عليه، كما أحدثت صدى كبيرا كونها عمقت الإصلاح بصورة مباشرة في نفوس المثقفين الذين راحوا يستنبطون البعد الحقيقي لأخذ بفكرة النهضة. ينظر: سليم أوفة، "**زيارة محمد عبده لمدينة الجزائر صائفة 1903**" **وتداعياتها**، مجلة اللغة العربية، مج25، ع3، 2023، ص428.

[4] إبراهيم لونيسي، **زيارة الشيخ الإمام محمد عبده...**، مرجع سابق، ص127.

[5] نفسه.

[6] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج5، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص586.

[7] سليم أوفة، مرجع سابق، ص424.

6-2-علاقته بطلبته:

ومن نماذج علاقة الحفناوي مع تلاميذه هناك رسالة قدمها إلى تلميذه أبو القاسم عبد الرحمان، في يوم 30 ذي القعدة 1345هـ، حيث قال فيها: "قد طلب مني ولدنا السيد أبو القاسم عبد الرحمان أن أجيزه في ما أجازني فيه مشايخي وحصلته منه إجازة مطلقة جامعة نافعة له ولنا في الدين والدنيا والآخرة كما أجازني في ذلك كتابة ومشافهة من حضرت دروسه وقرأت عليه قراءة تحصيل وتحقيق كالوالد سيدي الشيخ ابن أبي القاسم بن الصغير وغيرهم من شيوخ أهل الديس أولاد سيدي إبراهيم الغول وقد أجازني في جميع ما أجازه فيه سيدي محمد الصالح البخاري وغيرهم، رحمهم الله ونفعنا الله بركاتهم".[1]

6-3- علاقته بالإدارة الفرنسية:

لقد كان الحفناوي من دعاة تعلم اللغة الفرنسية، وتحصيل العلوم الفرنسية رغم أنه لم يكن خريج السربون ولا مدرسة سان سير، ولا حتى الكوليج الإمبريالي، بل خريج المعاهد الصوفية والزوايا الدينية، إلا أنه حصل على عاتقه دعوة مواطنية إلى التعلم باللغة الفرنسية على صفحات الجريدة الرسمية الوحيدة "المبشر"[2].

وقد واجه الحفناوي امتحانا عسيراً خلال الفترة التي أعلنا فيها عن فرض التجنيد الإجباري (1912م) لكن يجب أن نقر مبدئيا أننا لم نعثر على أي وثيقة في حدود بحثنا تبرز لنا رأي الحفناوي الذي طالما نادى مواطنيه بدخول المدارس واتباع خطوات الفرنسيين في التقدم، كما أننا لم نسمع عنه أنه استقال من منصبه كمحرر بالمبشر أو كمدرس بالثعالبية ... احتجاجاً على فرض التجنيد الإجباري على الجزائر، وكان أول ما استعمله هو شيخ آرنو. وقال عنه هو شيخه في العلوم العصرية واللغة الفرنسية[3].

---

[1] أنظر الملحق رقم 11.

[2] محمد الحفناوي أبو القاسم ، **تعريف الخلف** ...، تح: خير الدين شترة، مصدر سابق، ص247

[3] محمد الحفناوي أبو القاسم، **تعريف الخلف** ...، تح: خير الدين شترة، مصدر سابق، ص248.

وخلاصة القول أن أبو القاسم الحفناوي يعد من أبرز وجوه النهضة الثقافية في المطلع القرن 20م حيث أنه في 1897م تولى التدريس في الجامع الكبير قام بتدريس الشريعة الإسلامية والفقه والأدب كما قام بتأليف المقالات الصحفية، حيث انتقل من بلدته الديس إلى العاصمة سنة 1884م، وانظم إلى هيئة تحرير جريدة المبشر الناطقة بالعربية وهي المتنفس الوحيد للنخبة أنذك فساهم في تحرير القسم العربي، ودام في هذه المنصة ثلاثة وأربعين عاماً، أي إلى غاية توقف هذه الجريدة عن الصدور سنة 1927م، لم تكن جريدة المبشر هي المجال الفسيح الذي نشر فيه، وبعدها تقلد منصب الافتاء فقد تولى منصب التدريس الفقه والعلوم والفلك والحساب، فبنسبة لنشاطه الثقافي والاجتماعي فقد برزت فيه نخبة مثقفة ذات تحصيل علمي فقد لعبوا دور مهم في التعاون وانتعاش الصحافة العربية وتأسيس النوادي الثقافية ذات الطابع الاجتماعي والديني، كما كانت علاقته بمحيطه بأصدقائه علاقة وطيدة ومتماسكة، ذو مقام عاليا، قد تخرج على يده الكثير من العلماء من بينهم العلامة الشيخ عبد الرحمان الجيلالي صاحب كتاب تاريخ الجزائر العام، وأما عن لقاءه مع محمد عبده فيقول عبد الرحمان الجيلالي أنه إلتقى به على متن سفينة أثناء عودته من مرسيليا.

الفصل الثالث

نماذج من كتابات الحفناوي

1- اقتباساته ومقالاته الصحفية:

ألف الحفناوي رسائل أراد منها لفت أنظار مواطنيه إلى منافع بعض إكتشافات العلم الغربي الحديث، ولا شك أنه إقتبس مضمون هذه الرسائل في غالب الأحيان من كتب فرنسية كان يترجمها له موظفوا الولاية العامة ترجمة حرفية، فيلبسها الحفناوي ثوباً عربياً، وفيما يلي نقدم بعض النماذج باختصار[1]:

1-1- تعليقه على كتاب أبو القاسم بن سديرة:

في يوم السبت 8 أكتوبر عام 1887م كتب السيد أبو القاسم الحفناوي مقالاً طويلاً غطى ثلاثة أرباع صفحة جريدة المبشر عدد 1890، وفي هذا المقال علق على كتاب ظهر في تلك الأيام لأحد الجزائريين المثقفين باللسانين العربي والفرنسي وهو السيد أبو القاسم بن سديرة[2] الذي كان مدرساً بالمدرسة العليا للآداب على حد قول أبو القاسم الحفناوي، أما موضوع كتاب بن سديرة فكان حول دراسة (اللغة البربرية القديمة في القبائل الكبرى)[3].

واللافت أن السيد الحفناوي قد منح صاحب هذا الكتاب مدحاً كبيراً، وقال عنه: «أنه مطلع على كثير من خفايا العلوم»، وقد استعمل في أسلوب تحريره السجع بحيث نجد في مقدمة المقال التي قال فيها[4]: «قد سمح لنا الدّهر في هذه الأيام بإشراق باهر، من زواهر

---

[1] الزبير سيف الإسلام، **رواد الصحافة الجزائرية**، مطابع دار الشعب بالقاهرة، 1981، ص158.

[2] أبو القاسم سديرة: ولد ابن سديرة في مدينة بسكرة وسط الأربعنيات من القرن التاسع عشر، وهذا يعني أنه فتح عينيه على الدنيا فوجد الاحتلال الفرنسي جاثماً على بلدته ووطنه، وفي عام 1865م أصبح ابن سديرة معلماً في مدرسة ترشيح المعلمين بالجزائر وهي مدرسة أنشأت حديثاً، وكانت تتألف من قسم خاص بالفرنسيين وقسم خاص بالجزائريين، وخلافا لبعض زملائه لا نجد ابن سديرة يساهم في تحرير جريدة المبشر الحكومية. ينظر: أبو القاسم سعد الله، "**أبو القاسم بن سديرة حياته ومؤلفاته**"، مجلة مجتمع اللغة العربية، مج251، ع(81-102)، جامعة الكتب الإسلامية، د ت، ص 1؛ 7.

[3] بن الشنب، "**حركة النهضة العربية بالجزائر**"، مجلة كلية الآداب الجزائرية، ع3، 1994، نقلا عن الزبير سيف الإسلام، **تاريخ الصحافة...**، مرجع سابق، ص148.

[4] الزبير سيف الإسلام، **تاريخ الصحافة...**، مرجع سابق، ص148.

فلكه مروراً فاقتنت الأحداق من بهجته ما يغنيها سروراً، وتنعمت بازدهاره الأنظار، وتمنعت باقتباس سناه الأفكار».[1]

كما استطرد في القول مرة أخرى فقال: «فإننا قد إطلعنا قرب من الأيام على تأليف لطيف حجا وعذب فهما، تناهز صفحاته 70 عدداً جمعت تفكهات الأفئدة...»، وهكذا استرسل في مدح الكتاب وصاحب الكتاب على طول المقال[2].

والجدير بالذكر أن السيد أبو القاسم بن سديرة كان من العلماء الجزائريين المتعاونين المستسلمين للإدارة الفرنسية، الذين أثرت فيهم الأفكار الاستعمارية الغربية فصاروا ينظرون إلى كل شيء في بلدهم بعين الاحتقار، ويمجدون كل شيء ناتج عن الحضارة والثقافة الفرنسية، وبكلمة وجيزة فإن إحتكاكهم بالثقافة الفرنسية جعلهم يتأثرون تأثيراً كبيراً بمحاسنها وخلق فيهم في ذات الوقت، مركب نقص لشخصيتهم، فكانوا يضربون الأمثال بالأوروبيين في كل شيء، ومن بين أولئك العلماء المسلمين المتعاونين أيضاً مع الإدارة الفرنسية والمعجبين بالثقافة الغربية وتقاليدهم، نجد الشيخ محمد السعيد بن علي الشريف، والسيد الأستاذ سليمان الجزائري التونسي[3]، الذي كان هو الآخر من المادحين الشاكرين للفرنسيين والسيد الحسن بن بريهمات، وأمثالهم[4].

1-2- مقاله حول بلاد السينغال:

وفي عام 21 من شهر يناير عام 1888م كتب مقدمة لمقال خبري طويل، بل لتقرير طويل كان قد بعث به قائد عسكري فرنسي من بلاد السينغال وشرح فيه هذا الضابط رحلة

[1] الزبير سيف الإسلام، **تاريخ الصحافة...**، مرجع سابق، ص148.

[2] نفسه.

[3] الزبير سيف الإسلام، **رواد الصحافة...**، مرجع سابق، ص160.

[4] نفسه.

نهرية قام بها أحد الضباط الفرنسيين إلى مدينة (تمبوكتو)[1] ببلد مالي وكيف استقبل أهلي البلاد الزورق وراكبيه[2].

ومن المحتمل أن ذلك التقرير قد تمت ترجمته بالولاية العامة، ترجمة حرفية ثم قدم للحفناوي لكي يلبسه ثوبا عربياً بأسلوب جميل، من ذلك أنه قال في مقدمته بالحرف الواحد: «ريثما كنا أمس، آخذين في الإعلان بالأخبار الواردة إلينا من (كان) إذ بباخرة سنيغال أتتنا برسالة بسيطة المقال طويلة الأذيال، بطيبها سفر الزورق المدعو (نيجر) إلى (تمبوكتو) ولم يساعدنا الحال الآن على إدراج الرسالة برمتها لضيق المجال، مع أنها نافعة مفيدة، لكنا تجرينا منها الأجدى ذكراً[3]، وحررناه. فدونك تسطيره![4]»

بهذه المقدمة يفيدنا السيد الحفناوي أنه كان يتصرف في تلخيص المواضيع كما يشاء، فيأخذ منها الأجدى نفعاً حسب اعتقاده، ويلخص الأخبار التي ترد على الجريدة وكذلك المقالات العلمية الطويلة، وبعد المقدمة السابق ذكرها لخص (رسالة السينغال) أو التقرير الطويل في أربعة أعمدة فسرد مسار الرحلة ومصاعبها، وكيف احتفل طاقم الزورق بالعيد الوطني الفرنسي (عيد 14 جويلية). ومن تلك المقدمة نستنتج شيئاً آخر أيضا إذ يفيدنا الحفناوي بمعلومات أخرى عن معرفته للفن الصحفي وارتباط الصحافي بالقراءة، فهو

---

[1] تمبوكتو: تقع على الحافة الجنوبية للصحراء الكبرى، بما يعرف بمنحنى نهر النيجر، وتحديدا تقع في الشمال الشرقي من جمهورية مالي، ويعود أصل تسميت تمبكتو أو تمبكت حيث المقطع الأول (تن: تعني المكان أو المأوى أو المسكن في لغة الطوارق، وبكت: هو اسم المرأة العجوز التي كانت تقطن قرب ذلك البشر)، فهي تعد مركزا تجاريا هاما لأنها تتوسط المدن التجارية الكبرى. عبد الله الرزاق إبراهيم، **دور تمبكتو الاقتصادي والجغرافي في التجارة الصحراوية**، المؤتمر الدولي الإسلامي في إفريقيا، ليبيا، 1427هـ/2006م، ص141.

[2] جريدة المبشر، العدد الصادر في 21 يناير 1888، نقلا عن الزبير سيف الإسلام، **رواد الصحافة...**، مرجع سابق، ص160.

[3] الزبير سيف الإسلام، **رواد الصحافة...**، مرجع سابق، ص 160-161.

[4] نفسه.

مثلاً يعتذر للقراء عن عدم نشر الموضوع كاملا على أعمدة الصحيفة نظراً لضيق المكان ويؤكد لهم بأنه اختار من(الرسالة) أحسنها فحرره ونشره[1].

وفي نفس المدة تقريبا، كتب مقال آخر تحت عنوان: "رسالة من بلد السينغال"، يدور موضوعه عن الحالة الاقتصادية في المنطقة، علما أن الأخبار كانت تنتقل آنذاك طبعاً بواسطة قوافل التجار والمسافرين أو بواسطة البواخر التي تمخر عباب المحيطات، وتصل تلك الأخبار ضمن الرسائل إلى مقر الجريدة أو إلى الولاية العامة بالجزائر على الأصح فتحولها إلى قاعة تحرير الجريدة وهي معربة ويقوم بإعادة صياغتها فحسب[2].

وهكذا جاء في رسالة من السينغال خبر مفاده أن سوقاً كبيراً قد أسس بالمنطقة، فأخذ السيد الحفناوي الخبر أو الرسالة وحررها كالتالي: «أوردت لنا الباخرة الأخيرة من السينغال الأخبار الآتي ذكرها في شأن السودان الفرنساوي...». و«أن الغلال هذه السنة ربت ونمت ببلد.... وطفحت فيها وأوتي منها كثيراً إلى السوق الذي يعمر يوم الأحد الأول من كل شهر، فامتلأ بواردیه وببضائعهم وانهمرت إليه القوافل من أقاصي الأمصار، كاحواز ممالك (قوتاجالون) و(تمبكتو) و(الأدرار)[3] ولا سيما نواحي (بامبوك)».

هكذا يستخلص القارئ أهمية هذه السوق حسب الأخبار التي جاءت بها الرسالة فيقول: «أن ثلاثين تاجراً من بلاد (مدينة...) ومن (واكاي) جادين مجتهدين في إقامة بناءات برسم التجارة في السوق المشار إليه لأنه بما كان محطة بين ثلاثة أنهار وفي ملتقى جميع طرق تلك الناحية لا شك أنه سيصير ذا شأن عظيم وأمر حسيم»[4].

ولما كانت جريدة (المبشر) تهتم بأخبار السينغال اهتماما بالغاً، لأن جيوش الغزاة كانت موجودة هناك، فإننا نجد السيد الحفناوي يكتب مرارا، بل يعيد صياغة ما ترجم من

---

[1] الزبير سيف الإسلام، **رواد الصحافة...**، مرجع سابق، ص 160-161.

[2] جريدة المبشر، الصادرة في 21 يناير 1888م، نفسه، نقلا عن الزبير سيف الإسلام، **تاريخ الصحافة...**، مرجع سابق، ص150.

[3] الزبير سيف الإسلام، **تاريخ الصحافة...**، مرجع سابق، ص150.

[4] نفسه، ص151.

مقالات عن أعمال الجيوش الفرنسية هناك فمثلا، قام بصياغة موضوع عن أعمال تلك الجيوش في بلاد السينغال وكان هذا الموضوع نقلا عن جريدة أو مجلة (الوقت) آنذاك، ومن مقالة هذا تفهم أن فرقا من الرماة الجزائريين والصبايحية كانوا قد أرسلوا إلى السينغال في ذلك التاريخ (1888) ليستعملهم المستعمر في قهر الشعوب الإفريقية. وكالعادة وضع السيد الحفناوي اسمه تحت المقال: الحفناوي بن الشيخ، دون الإشارة إلى ترجمة مع أننا فهمنا من المقدمة بأن الموضوع كان مترجما، إذ قال في مقدمته: «وقد ورد من سان لوي قاعدة السينغال إلى ورقة الطان le temp ما هو آت»[1].

1-3- مقالاته في الاقتصاد والتجارة:

ومن الكتابة عن أخبار السينغال ننتقل مع الحفناوي وهو يكتب عن الاقتصاد في الجزائر، وعن التجارة في المشرق العربي[2].

ففي كتابته اختار السيد الحفناوي موضوع لتربية الأغنام في أرضنا مناطق الهضاب الصحراوية التي نجد فيها متسعا تمرح فيه وتنتعش، أما المناطق الشمالية فهي في نظره ضيقة ولا تسع الغنم للمرح والتجوال ومن ذلك القول: «الأقطار الصحراوية كصحن الدار والجهات التلية كبيت مفلوق وكيف يتفقان حلا من جانب الاستقرار، فالغنم تحتاج الأراضي المشروحة المتعة الفضاء أينما ينموا الحشيش الرقيق المغذي ... تنتقل إليه»[3].

ويقول عن المعارضين المنتقدين لفكرة تربية الغنم في الصحراء: «لعمري أنهم لفي سكرة الوهم يعمهون»[4]. ثم انتقل في ختام مقاله الإرشاد الناس وتوجيههم إلى بناء الاصطبلات، وتحدث كذلك عن الحلفة وصناعتها وكيف كان الإسبان يصنعون منها

[1] جريدة المبشر، مجموعة 1884-1912، نقلا عن: الزبير سيف الإسلام، **رواد الصحافة...**، مرجع سابق، ص 162-163.

[2] الزبير سيف الإسلام، **تاريخ الصحافة** ...، مرجع سابق، ص151.

[3] الزبير سيف الإسلام، **رواد الصحافة...**، مرجع سابق، ص152.

[4] نفسه.

ألبستهم بعيد ميلاد المسيح بقرنين، ثم شرح كيف انقرضت وانقطعت في بعض النواحي من جنوب وهران[1].

أما بخصوص التجارة فنجده في عدد 22 يناير 1888م من جريدة المبشر يعيد صياغة تقرير كعادته كان قد بعث به قنصل فرنسا في الدرنة لحكومته وكان هذا التقرير يشتمل على صادرات وواردات التجارة الغربية مع الخلافة العثمانية، وهي مضبوطة بالأرقام فكانت فرنسا تأتي في الدرجة الثالثة بعد الانجليز وألمانيا ونشر هذا التقرير في حلقات متماسكة[2].

ولقد فعل نفس الشيء بالنسبة لتقرير بعث به قنصل فرنسا في دمشق إلى الحكومة الفرنسية، وفي ذلك التقرير لاحظ القنصل أن التجار الفرنسيين ساهموا في تنشيط التجارة الفرنسية تجاه هذه المدينة ورفع كمية الصادرات والواردات بين الشام وفرنسا، ولفت نظر المسؤولين إلى العناية بهذا الجانب[3].

1-4- من التجارة إلى العلم والعلماء:

لقد أدلى الصحافي الحفناوي بدلوه في كل شيء تقريبا فكان يلخص المقالات الطوال والدراسات المركزة عن (تركيب الهواء) و (تركيب الماء) وعلم الطب عند العرب.[4]

وهكذا تراه يكتب مقدمة لعرض قدمه أحد العلماء في باريس مادحا للأستاذ الحكيم باستور Pasteur[5] الذي ذاع صيته آنذاك نظرا للاكتشاف الرائع الذي توصل إليه وهو اكتشاف دواء لمعالجة مرض داء الكلب، وفي مقدمة كلمته شرح الحفناوي الخدمات التي قدمها هذا الطبيب إلى الإنسان بقوله:

---

[1] جريدة المبشر، العدد الصادر في 22 يناير 1888، نقلا عن: الزبير سيف الإسلام، **رواد الصحافة...**، مرجع سابق، ص152.

[2] جريدة المبشر، مطلع يناير 1888، نقلا عن: الزبير سيف الإسلام، **رواد الصحافة...**، مرجع سابق، ص153.

[3] الزبير سيف الإسلام، **تاريخ الصحافة...**، مرجع سابق، ص153.

[4] الزبير سيف الإسلام، **رواد الصحافة...**، مرجع سابق، ص165.

[5] باستور: وهو لويس باستور ولد في مدينة دُول الفرنسية يوم 27 ديسمبر 1822، فهو أول من كشف عن وجود الجراثيم التي تملأ الهواء الذي نتنفسه وهو مكتشف اللقاح. ينظر: حسن أحمد جعام، **حياة عباقرة العلم لويس باستور مكتشف الجراثيم**، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، (د ت)، ص1.

«مما يقر العيون ويشرح الصدور، هو اكتشاف السيد باستور كيفية معالجة داء الكلب حتى غدا بين الأنام أشهر من شهاب، حيث أبدى لذوي الدنيا ما كان وراء حجب لم يسمع لإزالتها، وبقيت مسندة له دونه، إلى أن قدّر المتعالي للأنعام بإظهاره على يدي هذا العالم المحظى الملاحظ الآن من جهات الدنيا بأسرها السيد باستور ... فلاح للعالمين كالدرر يقصده المصابون من كل فج حتى نفر من المسلمين وبلغ كالظمآن الذي اهتدى إلى منبع»[1].ويواصل قائلا: « فها نحن اليوم نفيد قراء صحيفتنا بما تحصل من أعماله حسب ما تبين من عرض حال أصدره حزب علماء فرنسا وتلى على جمعية العلوم يوم 24 يناير 1887».

وهذا هو أسلوب السيد الحفناوي في تقديم مواضيعه المترجمة إلى قرائه فبين الغرض منها وما هي فوائدها ثم بعد ذلك يقدم النص المترجم كما جاء به صاحبه[2].

1-5- شأن الكلب لدى أطباء العرب:

بعد أن كتب عن الحكيم باستور كما سبق أن ذكرنا، وجدنا السيد الحفناوي بن الشيخ يكتب عن أطباء العرب مدافعاً عنهم ضد إدعاءات المغرضين، فحاول أن يكتب عن مرض الكلب وكيف يراه العرب فقال في مقال طويل غطى أربعة أعمدة من صحيفة (المبشر) وكان تحت العنوان التالي: «شأن الكلب لدى أطباء العرب»[3].

«ما من أحد مارس الطب تدريسا أو تأليفا، تفرسا أو تكلفا، كان قد استضاء بذباله من بدره، ولعق بلالة من بحره فقال: «قطني ملات بطني إلا وعزه خاتمة بما سره به سواسه»، فظن كأغلب الناس أن المسلمين ليسوا من ذوي التمهر، بل الدراية وابتكار مسائل الطب وابتداعها والتراكيب واختراعها، ومفردات الأدوية وإعرابها جازما بأنهم لا يملكون مثقال ذرة من إبراز الاسرار الطبية، ولم يظهر ذو العيب على ألسنتهم وأيديهم ما يقي صحة أو

[1] الزبير سيف الإسلام، **رواد الصحافة...**، مرجع سابق، ص165.

[2] نفسه.

[3] نفسه، ص166.

يردها أو أولوية علومهم العقلية والنقلية، إنما هي الاختلاس من الكتب اليونانية (ونحو ذلك من الأوهام)»[1].

هكذا عبر الحفناوي في مقاله ذاك عن اهتمامات المغرضين ضد العرب والمسلمين واهتمامهم بالعجز وبعدم القدرة ويرد على الاتهام قائلا: «ونحن نقول أن هذه الظنون ليست من الحق والصواب بشيء، ألم يكن في صدر الإسلام أئمة جاءوا من وراء الغاية في الصناعة المذكورة وعلمها، باهت بهم السنون الهجرية سائر التواريخ، ولا سيما إذا هذبوها لمن بعدهم، فبرز من تلك الأزمنة الى الآن علماؤهم من المتفحلين المتبحرين في كافة العلوم، ولو بارزوا من قبلهم لأقروا لهم بالأفضلية، ونظر ما للبوادي من التجارب، المرئية بينهم سلفا عن خلف، وأسأل عن أطباء العرب في قديم الزمان وكفانا حجة الطب المنقول في الشرعيات، ولعمري أن إغتتاب المسلمين من قبل هذا الفن لوهم واضح (وغلط فادح...)»[2].

وقد علق الباحث الزبير سيف الإسلام عن هذا الموقف بقوله «كان هذا الكلام في شهر مارس- عام 1887 فانظروا كيف كانت غيرة هذا الصحفي الجزائري على عروبته ضد المتهكمين المتكالبين عليها، فدفعه دم العربي المسلم إلى أن رد عليهم ولو بطريقة بسيطة ردا سليماً»[3]، ثم أضاف مسترداً: «وليس العجيب في هذا الرد البسيط السليم بل العجيب أنه كان في عهد كانت فيه الجزائر تعيش في ظلام قاتم وقد مر على احتلالها من طرف الجيوش الغازية بقوة الحديد والنار سبع وخمسون سنة»[4].

ولم يقتنع الصحفي أبو القاسم محمد الحفناوي بهذا الرد البسيط السليم، حتى قدم الدليل على ما قاله واستشهد على ما زعم بقول النبي ﷺ في هذا المرض أي (مرض الكلب)

[1] جريدة المبشر: شهر مارس 1887، نقلا: عن زبير سيق الإسلام، **تاريخ الصحافة...**، مرجع سابق، ص155.

[2] الزبير سيف الإسلام، **رواد الصحافة...**، مرجع سابق، ص166.

[3] نفسه.

[4] الزبير سيف الإسلام، **تاريخ الصحافة...**، مرجع سابق، ص156.

فيقول: أنه قد روى عنه في الطب ما معناه: أن علامة الكلب إحمرار العينين وارتخاء اللسان ودلاعته وخروجه مدلى من الفم، وسيلان اللعاب بين الشاربين، وتنكيس الرأس وانكسار الأذنين وانسداد الذنب وامتداد بين الفخذين والسعي الدائم، والهرولة، بدون فتور وشبه السكران تحركا، والارتماء على أي مرأى، وقلة النبح، وإن كان فصوت غليظ، مشوب بخرخشة وهروب الكلاب منه، وعدم أكل ما يغذيه والخوف من الماء، ومتى عض إنسانا يرى ذلك المعضوض مثل في أقرب مدة، وتظهر عليه العلامات المذكورة الدالة على الكلب.[1] وأي مرض أعظم من داء يسري في الجسد بمجرد إنتشابه وليس إلا عض الكلب والمكلوب[2].

1-6- تركيب الهواء:

أما في خصوص تركيب الهواء، فنقتطف الفقرة التالية في موضوع طويل نشر على حلقات بعنوان (تركيب الهواء)[3]: «وقد اسلفنا ذكر صنفين من الهواء وفرقنا بينهما بقولنا أن إحداهما ما يقع فيه إحتراق الحطب، وثانيهما مالا يحترق فيه الحطب، فرأينا الآن أنه يمكن تعريف كل منهما بزيادة قيد آخر وذلك بقولنا أحدهما هو الهواء الذي يمتزج من المحترق مدة الوقود، وثانيهما الهواء الذي لا يختلط معه في تلك المدة، ولما كثر الفرق بين ذينك الصنفين ينبغي لنا أن نجعل كل منهما مرسوما بعلامة خاصة، فصنف الهواء الذي يمتزج به نسيمه هواء آزوت أو غاز أو غاز آزوت فالاسمان المذكوران حديثان ولا غراية في ذلك لأن كل ما حدث للحسن إدراكه يمكننا أن يصاغ له اسم ولا يتوهم توهمهم أن تينك المادتين كانتا عديمتين ثم برزتا للوجود، كلا إنهما موجودتان منذ أزمنة لا يعرف أولها، ويقينا تحت الغيب عنه كالكنز المدفون في خبايا الأرض»[4].

---

[1] الزبير سيف الإسلام، **تاريخ الصحافة...**، مرجع سابق، ص156.

[2] الزبير سيف الإسلام، **رواد الصحافة...**، مرجع سابق، ص177.

[3] الزبير سيف الإسلام، **تاريخ الصحافة...**، مرجع سابق، ص156.

[4] نفسه.

إن المقالات الطويلة التي ألبسها قلم الحفناوي بن الشيخ ثوبا عربيا كانت أساسا بالفرنسية كما سبق أن بيّنا بالحجج، والحفناوي لم يقم إلا بصياغتها أو تلخيصها فقط والأسباب عديدة أهمها أنها تمدح أعمال الفرنسيين، وتظهر عظمتهم وتخدم ركابهم، وكان هو بحكم وظيفة خاضعا لرقابة لولاية العامة يقوم بصياغتها فيستعمل قلمه ليصوغ الفكرة في قالب عربي سليم. أما المحتوى فلا دخل له في تغييره[1].

فإذا نظرنا إليه من خلال كتاباته في الربع الأخير من القرن الماضي بنظرة سطحية فإننا نحكم عليه بأنه كان مواليا للفرنسيين، خاصة وقد التقى أيام قدومه إلى الجزائر طالبا للعلم في مطلع الثمانينات بالسيد حسن بن بريهمات الذي كان حينذاك أحد المستسلمين للمستعمر، فاستضافه ثم استصحبه سنوات طوالا إلى أن توفى ابن بريهمات[2].

2- مؤلفاته كتابه الشهير: "تعريف الخلف برجال السلف"

قدم الحفناوي كتابهُ بالإشارة إلى تساوي في بلدان المغرب العربي في التأليف خاصة وطلب العلم عامة، فقد يشار بهذا، إلى وجود جامع الزيتونة بتونس والقرويين بفاس والمغرب الأقصى وخلو الجزائر من شبيه هذين الجامعين[3]، قال في مقدمة هذا الكتاب أن القطر الجزائري قد اجتهد قديما في طلب العلم بجميع أسبابه، وأتاهُ من سائر أبوابه ووقف على معقولة ومنقولة وتمكن من أصوله وفصوله وكان لعلوم وقته جامعا ولرايتها رافعاً[4].

يقع هذا الكتاب في مجلد واحد يظم قسمين إثنين أولهما خاص بتراجم العلماء الموجودة أسماؤهم بالمدرسة الثعالبية وهم خمسون شخصية غطى التعريف بها مئتين وثلاثة صفحات، أم القسم الثاني فيضم ما عداهم من علماء البر الجزائري وما يليه من الأقطار كالسودان ونحوه وقد تضمن ذلك القسم التعريف بثلاثمائة وسبعة وستون 367 عالما ورد

[1] الزبير سيف الإسلام، **رواد الصحافة...**، مرجع سابق، ص158.

[2] الزبير سيف الإسلام، **تاريخ الصحافة...**، مرجع سابق، ص177.

[3] عبد القادر بن عزة، مرجع سابق، ص1

[4] عمر قينة، مرجع سابق، ص128.

التعريف بهم في نحو ست مئة صفحة ذات ترقيم منفصل عن الترقيم في القسم الأول فكانت مادة الكتاب بقسميه في أكثر ثمانمئة صفحة[1].

ففي القسم الأول ترجم لشخصيات بعيدة عن عصرهِ وزمانه وأما في القسم الثاني فنجدهُ يترجم لشخصيات قريبة من عصرهِ والمعاصرة لهُ ورجال عائلتهِ وشيوخهِ وشيوخ الزوايا[2] ومؤسسيها ومفاتي مدينة الجزائر من الحنفية والمالكية[3].

صدرت الطبعة الأولى من الجزء الأول في حياة المؤلف عن مطبعة فونتانة الشرقية بالجزائر سنة 1906م، وعن نفس المطبعة صدر الجزء الثاني سنة 1908م كما طبع الكتاب في تونس بمكتبة الشيخ خير الدين في حدود سنة 1920م، وقد وقع تصويره في السبعينات في بيروت دون تنقيح أو إضافة، ثم صدر الكتاب بطبعة حديثة التصحيحات والتعليقات سنة 1982م عن مؤسسة الرسالة في بيروت مع المكتبة العتيقة في تونس وصدرت الطبعة الثانية عنهما أكثر تنقيحاً من الأولى سنة 1985[4]، ثم صدر الكتاب من جديد ولكن هذه المرة في دار النشر الجزائرية هي دار موفم سنة 2007م، مع إدراج مقدمة قصيرة للتعريف بالكتاب وصاحبه[5].

لقد رجع الحفناوي إلى مراجع عديدة بعضها مطبوع، ولكن الكثير منها مصادر من وثائق العائلات والتقاييد الخاصة والمخطوطات التي لم يتمكن أصحابها من طبعها[6] وأما عن نسبة الكتاب إلى صاحبه فقد أجمع كل الذين ترجموا للشيخ الحفناوي وذكروا مؤلفاته ولم

---

[1] عمر قينة، مرجع سابق، ص 129-130.

[2] نفسه، ص642.

[3] خير الدين شترة، **قراءة نقدية...**، مرجع سابق، ص25.

[4] محمد الحفناوي أبو القاسم ، **تعريف الخلف** ...، تح: خير الدين شترة، مرجع سابق، ص 295-296.

[5] خير الدين شترة، **قراءة نقدية...**، مرجع سابق، ص26.

[6] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي** ...، ج7، ص433.

يختلفوا في اسمه، ومن خلال صفحة الواجهة لنسخة الكتاب المطبوع يتضح جليا أنه يُنسب إلى الشيخ محمد الحفناوي أبو القاسم[1].

إن الصيغة العامة للعنوان توحي للقارئ بأن المؤلف يهدف من خلاله إلى ترجمة مشاهير أهل العلم والفكر والثقافة الذين ذاع صيتهم في العهود الماضية، وكان لهم أثر واضح في مجتمعاتهم وهو عنوان عام لا يحدد الفترة الزمنية التي سيغطيها، ولا المرحلة التاريخية التي سيتم التركيز على أعلامها كما أنه في الوقت نفسه لا يشير إلى منطقة[2] جغرافية محددة بعينها حيث لا تفهم من أهم السلف الذين سيترجم لهم وإلى أي بلد ينتمون[3].

2-1- دوافع تأليف الكتاب:

كان من الأسباب التي دفعته إلى تأليف هذا الكتاب هي اهتمام الوالي العام الفرنسي "شارل جونار[4]" بإحياء التراث الإسلامي وتعاطفه الظاهر مع مسلمي الجزائر[5]، وترجع كذلك إلى ارتباطه بالتراث وكتب الطبقات التي قرأها وهو طالب في مرحلة التتلمذ، وقد تأكد احتضانه لفكرة هذا الكتاب منذ بدأ في مساعدة ديبون[6] وكوبولاني[7] في كتابهما عن الطرق

---

[1] محمد الحفناوي أبو القاسم ، **تعريف الخلف** ...، تح: خير الدين شترة، مصدر سابق، ص296.

[2] خير الدين شترة، **قراءة نقدية**...، مرجع سابق، ص26.

[3] خير الدين شترة، **من أعلامنا** ...، مرجع سابق، ص 141.

[4] شارل جونار: سياسي فرنسي تقلد عدة مناصب سياسية ووزارية وعين عدة مرات حاكما عاما على الجزائر ينتمي إلى التيار الليبرالي ينظر: سعيد شكيدان، **الثورة الجزائرية في الصحافة الفرنسية من خلال جريدة لادييباش كوتديان -1956 1954.ladepeche qutidene**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2 أبو القاسم يعد الله، السنة الجامعية، 2017/2016، ص16.

[5] عبد الحكيم طويلب، مرجع سابق، ص229.

[6] ديبون: هو مراسل صحفي ومن الشخصيات التي لعبت دوراً تنويريا يؤمن ويسعى جاهداً للتواصل بين الشعوب ينظر: عبد الوهاب عيساوي، **رواية، ديوان الإسبراطي**، دار الهيثم للنشر، الجزائر، 2008، ص315.

[7] كوبولاني: ولد في قرية مارنيان قريبة من مدينة إيفيزا في 1 فبراير 1866 وهو أول مهندس للاحتلال الفرنسي لموروتانيا وأول من مهد للسيطرة الفرنسية على القبائل الموريتانية بفضل حنكة في التعامل معهم، ينظر: نور الدين صابر، "**كزافيي كوبولاني والتوسع الفرنسي في المغرب العربي (1866-1905)**"، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، مج5، ع12، 2017، ص115.

الصوفية فقد كان مضطر إلى الرجوع للمصادر العربية الإسلامية القديمة والحديثة لاستخراج التراجم والأخبار والمعارف العامة للجريدة والكتاب[1].

بالإضافة إلى ذلك سعتهُ في الثقافة العربية ومدى إطلاعه على التاريخ الكلاسيكي والمؤلفات السابقة خاصة المخطوطات العربية للمغرب الإسلامي والأحداث التي كان يمر بها العالم الإسلامي كإصلاحات السلطان العثماني عبد الحميد (1876-1909) ونشاطات الجامعة الإسلامية وزيارة محمد عبده للجزائر سنة 1903 وكذلك الظرف التاريخي الذي كانت تعيشهُ الجزائر منذ سنة 1871 أي دخولها عهد الجمهورية الفرنسية الثالثة[2].

2- 2- محتوى الكتاب -الجزء الأول-:

وبخصوص شكل الكتاب، جاءت صفحة مقدمة أو تمهيد أو مدخل الجزء الأول بالرسم التالي:

مبنى هندسي مزين بشموع متلألئة، عليه قباب يعلوها هلال ونجمة وكأنه يرمز إلى الشكل الهندسي للمدرسة الثعالبية، تضمن بداخله العبارة التالية: بسم الله الرحمن الرحيم في أعلاها: الصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم في أدنى هذا الرسم: ثم استهل مقدمته بعبارة الحمد لله والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (الحمد لله على نواله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله أما بعد)، وقد قسم مقدمته إلى ثمانية أقسام (06 صفحات)[3].

وجاءت الدباجة متضمنة دور القطر الجزائري في طلب العلم ونشره وإخراج علماء نافسوا أقرانهم في الأقطار الأخرى إلى عالم الجيل الحاضر كي يقتفوا آثارهم ويقتدوا بقدوتهم (فالظاهر أن القطر الجزائري قد اجتهد ... فلهجت بذكرهم أقلامه على ألسنة خلقه)[4].

---

[1] محمد الحفناوي أبو القاسم ، **تعريف الخلف** ...، تح: خير الدين شترة، مصدر سابق، ص229.

[2] شارف رقية، مرجع سابق، ص642.

[3] خير الدين شترة، **قراءة نقدية**...، مرجع سابق، ص29.

[4] محمد الحفناوي أبو القاسم ، **تعريف الخلف**...، تح: خير الدين شترة، مصدر سابق، ص308.

ذكر أن الأجيال اللاحقة (الخلف) لجهود العلماء الجزائريين السابقين رغم نبوغهم وتفوقهم وكثرة تآليفهم (هذه أسماؤهم وتراجمهم... مستثمر فيهما استثمار مؤلفيها عند كل طالب علم وفي كل كتاب)[1].

وبخصوص المصادر والمراجع المعتمدة في الكتاب، فذكر الحفناوي أن أهم المصادر والمراجع المعتمدة بدون تنسيق مسبق أو ترتيبي خضع لرؤية بيبليوغرافية «في القسم الأول من هذا الكتاب الجامع لما تيسر نقله... وسلوة الأنفاس»[2].

ولم يغفل عن تقديم الشكر للحكومة العامة في الجزائر على عهدها، أما أهداه إلى كل من ساعده في هذا التأليف وذكر بعضاً منهم مرفوقاً بمن أعانه من كتب ووثائق «وشكراً لحكومتنا الجزائرية... وعن جميع عباد الله الصالحين»[3].

وقد قسم الكتاب إلى قسمان: «أولهما في تراجم العلماء المكتوبة أسماؤهم في المدرسة الثعالبية، وثانيهما: في تراجم غيرهم من علماء البر الجزائري، وما يليه من الأقطار كالسودان ونحوه...»[4].

أما منهج الكتاب: فقد وضعه في صيغة تنبيه إلى القارئ «ذكر تحت كل اسم عالم... ودعتني إليه الضرورة»[5]. كما تعرض بالنقد للمصادر السابقة، حيث اجتنب النقل من (البستان) و(عنوان الدارية) لما في نسختهما لدي ويا ليتهم يتحفون عالم العلم بالذخائر المكنونة في الخزائن المغربية لإحيائها وإحياء أهلها»[6].

وقد جاء المضمون ابتداء من الصفحة العاشرة إلى الصفحة مائتين وواحد ومن محتويات المضمون أنه كان يذكر في معظم من ترجم لهم المصدر المأخوذة منه تحت اسم

---

[1] محمد الحفناوي أبو القاسم ، **تعريف الخلف...**، تح: خير الدين شترة، مصدر سابق، ص308.

[2] خير الدين شترة، **قراءة نقدية...**، مرجع سابق، ص30.

[3] محمد الحفناوي أبو القاسم ، **تعريف الخلف...**، تح: خير الدين شترة، مصدر سابق، ص309.

[4] خير الدين شترة، **قراءة نقدية...**، مرجع سابق، ص30.

[5] نفسه.

[6] محمد الحفناوي أبو القاسم ، **تعريف الخلف...**، تح: خير الدين شترة، مصدر سابق، ص309.

المترجم له مباشرة مرفوقاً بكلمة (من) أو (عن) وفي ذلك تحري للأمانة العلمية لكن في كثير من الأحيان كان يدعم الترجمة بمصادر أخرى يشير إليها في ثنايا الترجمة مرفوقة بكلمة (قال) أو (يقول) وفي حالتين فقط من (50) عالماً يذكر اسم العلم مرفوقاً بعبارة (لم أطلع عليه) أو (لم أقف على ترجمته) ويحاول بعدها الحفناوي جاهداً أن يأتي باسمه كلاماً بما يعرف[1]. أو بأثره عن آثاره (كراماته، أو قصيدة شعرية منسوبة إليه، أو قيلت في حقه، أو ذكر إحدى مآثره وآثاره أو ما قيل فيه).

وما يمكن تسجيله أيضاً فيما يتعلق بمحتوى الجزء الأول هو أن الحفناوي قد اقتصر على مصادر محدودة، رغم أنه كان بإمكانه التوسع في غيرها بهدف التثبت والدقة، وهذه المصادر المحددة على قلتها هي في نظره مصادر لا يرقى إليها الشك أو الزلل، مما دعاه إلى التجاوز عمداً على المصادر الأخرى التي يملكها كونه اشتم فيها الخطأ وعدم الدقة أو المبالغة في الوصف أو وروج التصحيف في كثير من صفحاتها[2].

وفي ترجمته لكل الأعلام الذين قام بترتيبهم ترتيبا هجائياً يختم عادة إسم الشهرة لديه بإلحاق موطنه الأصلي أو مسقط رأسه بقلبه على شاكلة: (المشدّلي أو الغرناطي أو التنسي أو المازوني أو التادلسي)، وأحيانا أخرى يلحق باسمه الأول مذهبه أو كنيته التي اشتهر بها فقط على شاكلته: (الثعالبي أو والوغليسي أو المنقلاتي أو الشاوي...) وفي مرات قليلة ينسبه صراحة إلى مذهبه والتيار الذي ينتمي إليه على منوال: (التوحيدي) والأمر نفسه على مضمون الجزء الثاني[3].

وعلى العموم فإن عمله في القسم الأول قام على الواقعية والشمولية في آن واحد حيث اعتمد على أصل الرواية وصحة السند أكثر من الرواية نفسها، وهذه كانت عادة مؤرخي العصور الأولى من أتباع مدرسة المدينة ومدرسة الشام الذين كان يهمهم صحة

[1] محمد الحفناوي أبو القاسم ، **تعريف الخلف**...،تح: خير الدين شترة، مصدر سابق، ص310.

[2] نفسه.

[3] خير الدين شترة، **قراءة نقدية**...، مرجع سابق، ص31.

الراوي (السند) أكثر من صحة الرواية، التي هي في العادة لا يعقّب عليها عندهم رغم ما تحتويه من مبالغات تتنافى مع العقل والمطلق والشرع[1].

كما تضمن القسم الأول أيضاً خاتمة بعد ختام تراجم الأعلام الواردة، وفيها ثبر للمحتويات أدرج فيه أسماء الأعلام المرتبة هجائيا مع أرقام صفحاتها، ثم قائمة للكلمات والجمل الواردة خطأ مع صوابها[2].

2-3- محتوى الجزء الثاني لكتاب تعريف الخلف برجال السلف[3]:

وقسمها إلى عنصرين هما الدباجة: وجاءت مقدمة الجزء الثاني للكتاب تقريباً حيث جاء فيها: «الحمد لله وحده، بسم الله الرحمن الرحيم، الصلاة والسلام علي سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وأصحابه التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين».[4]

كما ذكر الحفناوي في مقدمة الجزء الثاني المصادر والمراجع الجديدة، بالإضافة إلى ما سبق ذكره في الجزء الاول، نبّه إلى تغير طفيف في تقنية الإحالة، ذلك وعوّض ذكر المصدر المنقول منه في بداية الترجمة فإنه آثر ذكره هذه المرة في آخر الترجمة، كما نبّه أيضاً فيها بالشق التقني لمصادره، وبأنه سيعتمد أكثر وبخلاف القسم الأول على المراسلات والاتصال المباشر، كون أغلب المترجم لهم في القسم الثاني من معاصريه أو من القريبين لعصره، وهو ما صرح به فيمايلي: «وبعد فلما كان القسم الأول ... الخاص بالمقيّدين من

---

[1] خير الدين شترة، **قراءة نقدية...**، مرجع سابق، ص31.

[2] نفسه.

[3] تفاعل الكثير من القراء حول كتابه بحث يقولون يا سيدي أني إشتريت كتاب القسم الثاني من الجزائر بسبعة دورو ووجت فيه هجرس بن علي من أولاد يزيد زغبة من عرب رياح وعكسوا عليه بعض من الطلابة هنا وشهروه في مقالكم هجرس شريف وكذبوا مقالك على هذا السيد أنني جازعا من قولهم وترد لي الجواب كم عنده سنة وكيف أصله وتسامحني في تغير اللفظ وغيره والسلام عليكم من لسان خديمك الراجي عفو ربه قطاف بن أحمد بن عثمان من رفقة أولاد ارتيمة عرش السلامات في 14 سبتمبر سنة 1935م ينظر: الملحق رقم 12.

[4] محمد الحفناوي أبو القاسم ، **تعريف الخلف...**، تح: خير الدين شترة، مصدر سابق، ص312.

علماء البّر الجزائريين في المدرسة الثعالبية... قياماً بوظيفة القلم الذي علّم الله به الإنسان ما لم يعلم، ولم ينخدعوا لخناس والناس فأذكره منسوباً إليهم»[1].

وقد تضمن القسم الثاني ذكر لـ ثلاثة مائة وواحد وستون (361) عالماً، خصوصية هذا القسم أنه ليس كسابقه حيث أمعن في إيراد مسقط الرأس عقب ذكر الاسم الأول للمترجم له على شاكلة: القسنطيني، البحائي، التلمساني، التازي، الزواوي، الوهراني، الجزائري الندرومي، البسكري، العباسي الحنيفي، القلعي، المستغانمي، التنبكتي، الحرشاوي...[2].

وعموماً فقد كانت لغة الحفناوي وهي تدل على ثقافته الأدبية القوية، ميزتها الإيجابية رغم توظيفه للسجع والمحسنات البديعية حتى بعض الجمل العامة خصوصاً في ترجمة شيوخ الزوايا الذين عاصرهم، هي أنه لم يكن متأثراً في لغته بالثقافة الأجنبية واللغة الفرنسية، ذلك أن تياره الفكري رغم إيمانه المفرط بالتقدم والمعاصرة يتجه نحو التصوف وذكر الكرامات وبعض الخرافات، ولا ندري إن كان يؤمن بذلك حتى الإيمان أو هو نوع من مجاملة شيوخ العصر والمتعلمين الذين عاصرهم، وفيهم بعض القضاة والحكام والمرابطين، ونحن نعلم أن المثقفين عندئذ مهما بالغوا في التحرر كانوا يحمون أنفسهم بالانضمام إلى إحدى الطرق الصوفية على الأقل أو التظاهر بموالاة أهل الخير والولاية[3].

ومن المميزات الأخرى التي تكررت كثيراً في هذا القسم هو ذكر الآيات والأدعية المأثورة خصوصاً منها المتأثرة بالأوراد الصوفية في آخر كل ترجمة فمن الآيات مثلاً: «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء» ومن الأدعية المأثورة «رزقنا الله بركة أوليائه وجلعنا من خواص الأصفياء بفضله» «أصلحه الله وكان له ولذريته ولياً ونصيراً آمين، آمين، آمين والحمد لله رب العالمين»[4].

---

[1] خير الدين شترة، **قراءة نقدية** ...، مرجع سابق، ص31.

[2] محمد الحفناوي أبو القاسم ، **تعريف الخلف**...، تح: خير الدين شترة، مصدر سابق، ص313.

[3] نفسه.

[4] نفسه، ص314.

أما خاتمة الجزء الثاني فقد تضمنت قسمان: **أولاً دعاء الختم:** وكان من عادة مؤلفي العصور السابقة أنه عندما ينتهي من عمل تأليفي تكون آخر أسطر ذلك العمل دعاءً له ولنسله ولعامة المسلمين وخاصتهم، وهو ما فعله الحفناوي في خاتمة القسم الثاني، حيث ختم عمله بختم سيدي أبي عمران موسى بن عيسى المازوني، تبركاً به وتوسلاً بدعائه المستجاب إن شاء الله «وهذا آخر ما قصدناه إليه يعني من الرجال، نفعنا الله بجميعهم... وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين»[1].

وثانيا قدم لنا تحديد دقيق لتاريخ نهاية العمل وهو: «سنة 1326هـ/1908م، من هجرة مولانا محمد بن عبد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه أفضل الصلاة وأزكى التسليم»، كما تضمن القسم الثاني أيضاً بعد ختام تراجم الأعلام الوارد فيه، ثبتًا لمحتويات أدرج فيه أسماء الأعلام المرتبة هجائياً مع أرقام صفحاتها، ثم تلته قائمة بالكلمات والجمل الواردة خطئًا في القسم الثاني مرفقة بالصفحة والسطر مع تحديد صوابها[2].

وبهذا يكون الحفناوي قد ذهب مذهب المؤرخين الأوائل الذين كانوا يجعلون أكبر همهم هو نقل الأخبار فقط، ولهذا نجده لا يراعي قواعد البحث الحديثة، ولا أغراض التاريخ المعروفة، فاقتصر على جمع ما كان مشتتًا منشوراً في كتب تاريخية عديدة يصعب في غالب الأحيان على القراء الوصول إليها، فلو لم تكن للحفناوي سوى هذه المزية لا يستحق الثناء عليها، ولكنه أضاف إلى ذلك عدة معلومات عن عائلته وعن مؤسسي الزوايا ومشايخهم بفوائد لا مثيل لها، إذا كان تقييد الأخبار في زمانه بضاعة نادرة، فبفضله بلغتنا أخبار استخرجها من الوثائق العائلية التي اطلع عليها بعض الأدباء من أصدقائه[3].

فعلى الرغم من جهله أساليب البحث العلمي فقد أنقذ لنا الحفناوي شيئاً غير قليل بما يتعلق بتاريخ الثقافة العربية بالجزائر في القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر، فما لاشك

---

[1] خير الدين شترة، **قراءة نقدية...**، مرجع سابق، ص32.

[2] نفسه.

[3] عمر قينة، مرجع سابق، ص130.

فيه أن أفضل عمل قام به الحفناوي بل أعظم مزاياه على العلم كما قال بن أبي شنب هو «تقييده تراجم رجال عرفهم طيلة حياته»[1].

وهكذا يبقى كتاب (تعريف الخلف برجال السلف) أعظم عمل لأبي القاسم الحفناوي خدم به وطنه فحفظ به جانبا هاماً من حياة الجزائر الثقافية كما خلّد به ذكره في الحركة الثقافية[2].

3- مصادر معلوماته:

استطاع الحفناوي في كتابه تعريف الخلف أن يجمع أشعاراً ونصوصاً كثيرة لشخصيات يُعتبر إنتاجُها في حُكم المفقود، وسهلت له بحوثه واطلاعاته واتصالاته، وما حصل عليه من وثائق ومخطوطات، بعد جهود مضنية، من العثور على نصوص نادرة رفعت من قيمة الكتاب[3].

لقد اجتهد الحفناوي في جمع قائمة طويلة من مصادر التراث المهمة لإعداد تراجمه واختار منها تلك التي خلّدت آثار علماء الجزائر وسجلت حياتهم وحفظت تواريخ ميلادهم ووفاتهم ورسمت لنا صورة عن مختلف العصور التي عاشوا فيها، وما تميزت به في النواحي العلمية والاقتصادية والسياسية[4]، ومن أهم هذه المصادر التي استقى منها مادة كتابه ونذكر: «نيل الإبتهاج بتطريز الدباج» لأحمد بابا التنبكي (1036هـ/1926م) الذي يُعد مرجعاً هاماً جداً في التاريخ العام لشمال وغرب إفريقيا والأندلس ودراسة قيّمة للحالة الفكرية والاجتماعية والسياسية للقرن العاشر والحادي عشر هجري، لذلك كان اعتماده عليه كبيراً[5].

كما إستقى معلومات جمة من كتاب «البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان لابن مريم المديوني، والذي ترجم فيه لمائة وإثنين وثمانين عالمًا ووليًّا ولد بتلمسان أو عاشوا

---

[1] محمد الحفناوي أبو القاسم ، **تعريف الخلف...**، تح: خير الدين شترة، مصدر سابق، ص315.

[2] عمر بن قينة، مرجع سابق، ص130.

[3] عبد الحكيم طويلب، مرجع سابق، ص233.

[4] محمد الحفناوي أبو القاسم ، **تعريف الخلف...**، تح: خير الدين شترة، مصدر سابق، ص315.

[5] نفسه، ص316.

بها» بالإضافة إلى كتاب «عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المئة السابعة ببجاية لأبي العباس الغبريني (714هـ/1312م)، الذي ضم تراجم مئة وأربعين من العلماء والمؤرخين والأدباء والشعراء من مشاهير أعلام الجزائر وتونس والمغرب والأندلس، ويُعد أصدق وأشمل سجل يحفظ سمات الحياة العقلية في المئة السابعة للهجرة ببجاية خاصة وبالجزائر بصفة عامة، واعتمد أيضاً على «بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد» ليحي بن خلدون (780هـ/1378م) وعليه يمكن ترتيب مصادر التي اعتمد عليها في تأليف كتابه إلى أربعة أنواع هي:[1]

3-1- الكتب المخطوطة والمطبوعة:

وهي التي حاز عليها إقتناء أو إعارة ومن مصادره المطلوبة والمخطوطة في القسم الأول نذكر: أحمد بابا التنبكتي، وكتابه: «نيل الإبتهاج بتطريز الديباج»، «كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج» والجبرتي وكتابه «عجائب الآثار في التراجم والأخبار» والحضرمي في «مشيخته»، وحلولو في «شرح المختصر» وابن الخطيب أبي العباس بن حسن بن علي و«كتاب الوفيات»، وابن خلدون «العبر وديوان المبتدأ والخير في أيام العرب والعجم والبربر» وابن زكريا يحي وكتابه «بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد»، وابن خلكان أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد «وضيات الأعيان»، وابن سعد التلمساني في كتابه «النجم الثاقب فيما لأولياء الله من المناقب» و« روضة النسرين في مناقب الأربعة الصالحين»، والعبدري التونسي «الإكليل»... ومن مصادر الجزء الثاني (بالإضافة إلى ما اعتمد عليه في القسم الأول): بن أبي حاجلة أحمد التلمساني وكتابه «مغناطسي الدّر النفيس» وابن الأحمر أبو الوليد إسماعيل في كتابيه: «الفهرسة» و«روضة النسرين في دولة بني مرين» والأمير عبد القادر «ذكرى العاقل وتنبيه الغافل» وبن عمار الجزائري أبو العباس سيدي أحمد «نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب» والبقي أبو جعفر «مختصر

[1] محمد الحفناوي أبو القاسم ، **تعريف الخلف...**، تح: خير الدين شترة، مصدر سابق، ص317.

الإحاطـة» وبيـرم الخـامس محمـد بـن مصـطفى «صـفوة الإعتبـار بمسـتودع الأمطـار والأقطار».[1]

3-2-المراسلات:

استعمل الحفناوي أسلوب المراسلة أيضاً للاستفسار عن مشاهير المناطق البعيدة التي لم يتمكن من زيارتها حتى يثبت قائمة علمائها وفقهائها وأدباءها في كتابه وكانت صيغة الرسالة عامة وليست موجهة بشكل خاص من أجل ترجمة علم خاص كأن تكون على الشكل التالي «أريد معرفة ترجمة من اشتهر في المنطقة الفلانية أو البطن الفلاني من علماء وأولياء وشيوخ ومدارس وكتاتيب وزوايا معلمي القرآن الكريم...»[2].

ومن أمثلة مراسلاته ما ورد عليه من رسائل من مفتي مستغانم الذي قدم له ترجمة معزوز البحري المستغانمي ورسائل قاضي تلمسان آنذاك أبو مدين شعيب بن علي بن عبد الله الذي زوده بكتاب «عقد الجمان النفيس في ذكر الأعيان من أشراف غريس» وبعث إليه بتراجم لعدة علماء وراسل أيضا أبناء وأحفاد العلماء والفقهاء وأصحاب العائلات العريقة في العلم والتقوى ليحصل منهم على تفاصيل حياة أجدادهم من خلال الوثائق الرسمية[3].

3-3- رصيده المعرفي واجتهاداته:

وقد اعتمد أيضاً على رصيده المعرفي واجتهاداته الخاصة عندما يعْدم المعلومة في المصادر السابقة... وقد ذكر الحفناوي أنه وجد صعوبات في الحصول عليها قائلاً: «ولم أعثر على هذه الجملة من كتب التاريخ بعد البحث الطويل في مضانه ومحاولة مساجن المؤلفات بكل حيلة ووسيلة»[4].

---

[1] خير الدين شترة، **قراءة نقدية...**، مرجع سابق، ص33.

[2] محمد الحفناوي أبو القاسم ، **تعريف الخلف...**، تح: خير الدين شترة، مصدر سابق، ص319.

[3] نفسه.

[4] نفسه، ص322.

أما الأشخاص الذين إتصل بهم في القسم الثاني فهم: الأخ المرحوم عبد القادر بن المبارك قائد أولا سيدي عيسى بن محمد، توفي (رحمه الله) صيف هذه السنة 1324هـ-1907م الذي أعانه على ترجمة إبراهيم بن أحمد الفجيجي، وسيدي عي بن عمر صاحب زاوية طولقة الذي أعانه على ترجمة (سيدي إبراهيم الغول) وحمدان الونيسي القسنطيني الذي أعانه على ترجمة (أبو محمد بركات القسنطيني)، ووالده أبي القاسم بن الصغير، الذي أعانه على ترجمة (سيدي الحاج محمد الرامي)، والشيخ ابن دوبة الذي أعانه على ترجمة (سحنون بن عثمان المداوي – محمد أمزيان)، والشيخ محمود كحول القسنطيني الذي أعانه على ترجمة (عبد القادر الراشدي) ومحمد بن يعقوب الأديب الذي أعانه على ترجمة (محمد بن حسن التلمساني) والشيخ عبد ربه محمد أمزيان الذي أعانه على ترجمة (سيدي محمد الطيب ابن أبي داود الزواوي) والكامل بن الشيخ بن عزوز الذي أعانه على ترجمة (محمد بن عزوز البرجي)[1].

والشيخ المختار ابن محمد بن أبي القاسم الشريف الهاملي في ترجمة (محمد بن علي الشريف الجعدي) والشيخ أحمد بن طالب مفتي مدينة الأغواط الذي أعانه على ترجمة (محمد بن المشري السائحي الأغواطي) والفقيه الأديب محمد بن ناصر المنصوري الذي أعانه على ترجمة (محمد بن الناصر المنصوري)، ومحمد بن أحمد بن سيدي علي الطيار الذي أعانه على ترجمة (محمد بن الناصر المنصوري) والشيخ محمد أرزقي كاتب دائرة البيان من عمالة قسنطينة الذي أعانه على ترجمة (محمد بن الناصر المنصوري)، والشيخ عبد القادر المجاوري الجليلي الذي أعانه على ترجمة (سيدي معزوز البحري المستغانمي)[2].

ومن التراجم الذي ذكرها بالاسم فقط، ثم أعمل الاجتهاد من ذاكرته في ترجمتها لانعدام المصادر المكتوبة والشفوية عنها أثناء تحريره للكتاب: عبد الرحمان الأخضري

[1] محمد الحفناوي أبو القاسم ، **تعريف الخلف...**، تح: خير الدين شترة، مصدر سابق، ص322.

[2] نفسه.

محمد بن أحمد بن مريم المديوني، وعلي بن أحمد الشريف بن مالك الجزائري، هذا الأخير الذي اعتمد له على قصيدته التي يحفظها.

رغم كل هذه المصادر النفيسة والمراجع النادرة والمحاولات المستميتة في جمعها من مضانها يأتي في آخر مقدمته ليبرر عجزه عن الإتيان بعمل كامل ومن ثم الإحاطة بكل التراجم ليقول: «ولم أعثر على غير هذه الجملة من كتب التاريخ بعد البحث الطويل في مضانه ومحاولة مساجن المؤلفات بكل حيلة ووسيلة، لأن المستحوذين عليها يفضلون بقاءها ذخيرة للأرضه حصرة تتعدى على الورق على إفادة طالبيها بها وستفادتهم منها، ولا يبالون بما وراء ذلك، زاعمين أنهم باستعارتها فقدوا منها كتباً نفيسة عزيزة الوجود، نسأل الله وإياهم لمافيه رضاء، لهذا السبب لم أقف على تراجم علماء أشاهر كارّماصي والأخضري وغيرهما ولا يسعني تجاوزهم فأذكرهم بما أعلمه، وإن قلّ فعذراً يا أهل الإطلاع وصول الباع...».[1]

3-4- اتصالات الشخصية الخاصة:

واعتمد الحفناوي على النوع من المصادر خصوصاً عندما كان يقع في ترجمة غامضة أو مشكلة طارئة، فكان المقربين منه أو من يعرفهم عن قريب يفيده بها، وفي الغالب استعمل هذا النوع في ترجمة أفراد عائلته: كجده إبراهيم الغول وأخوه المدني ووالده بن عروس أو أيضاً منطقته كعبد الرحمان الديسي والمازري والصديق الديسي، وقد كانت هذه الاتصالات إما بالمراسلة العادية أو بالمقابلة الشخصية، حيث كان ينظم معهم لقاءات مباشرة يتلقى خلالها التفاصيل الضرورية التي تمكنه من صياغة ترجمة وافية لسيّر حياتهم كما فعل جلّ معاصريه الذين ترجم لهم في القسم الثاني[2].

[1] خير الدين شترة، **قراءة نقدية...**، مرجع سابق، ص34.

[2] محمد الحفناوي أبو القاسم ، **تعريف الخلف...**، تح: خير الدين شترة، مصدر سابق، ص321.

4- منهجه في الكتابة:

يكتسي كتاب الحفناوي أهمية بالغة بين مؤلفات الجزائر الفتاة، إذ يصور بجلاء التدقيق، فكانوا في عصرهم نجوم اهتداء، وأئمة افتداء، ولكن طواهم وأضر بهم فلك الانقلاب في مغارب الأفوال فذهبوا ولسان حالهم يقول:

تلك آثارنا تدل علينا *** فانظروا بعدنا إلى الآثار

هذه ضرائحهم ينادي لسان صدقها بأن أهل زمنهم، وما أدراك ما هم قد جمعوا على أنهم رجال، كان العلم قوتهم والعمل الصالح يأقوتهم، فأفنوا أعمارهم في إرشاد الأمة وتنوير بصائرها وخلد الحق ذكرهم في إرشاد الأمة وعلى الرغم مما طبع منهجه من ابتعاد عن القواعد العلمية لكتابة التاريخ إلا أن مؤلفه استطاع بما بذله من جهود مضينة أن يجمع شتات الأخبار الخاصة بأعلام الجزائر والمتفرقة بين الكتب والمحفوظات القديمة، والتي كانت في زمنه، في حكم المفقودة أن يبدلها للقراء ليصبح كتابه بذلك وثيقة تاريخية وطنية قيمة.[1]

كان الحفناوي "صاحب كتاب تعريف الخلف" كلما يخاطب إلا يرد على مخاطبيه "جل أنا جامعة" مما يدل أن الحفناوي لم يرد من كتابه هذا إلا تجميع ما خشي أن يزول ويندثر والواقع أنه لم يكن يكتب تاريخه في تراجمه حتى تحاكمه بقسوة على منهجه كما فعل سعد الدين بن أبي شنب «إن التاريخ عام لم يتقدم عنده إنه كان يسير على خطى مؤرخي العصور الوسطى».[2] وبناء على ما سبق يتأكد لدينا أن هذا العمل يدخل في ميدان السيرة وليس السيرة الذاتية فهو لم يتكلم عن حياته أبدا إلا في إشارات هامشية، مباشرة أو باستنتاجها من محتوى يتحدث فيه عن آخر أفراد عائلته أو أهل بلدته أو بعض أصدقائه[3].

وفي مايلي نلخص بعض الملاحظات حول منهجه في الكتابة:

---

[1] محمد الحفناوي أبو القاسم ، **تعريف الخلف...**، تح: خير الدين شترة، مصدر سابق، ص324؛ 326.

[2] خير الدين شترة، **قراءة نقدية...**، مرجع سابق، ص39.

[3] نفسه، ص40.

4-1- في ترتيب الأسماء:

أول ما يلفت النظر أن الأسماء موضوع التعريف لم تُرتب ترتيبا علميا دقيقاً، فلم يُرتب الأعلام حسب العصور أو الأماكن، حتى أنه لم يلتزم بترتيب معجمي مضبوط، فوقع في خلط وعدم التنظيم، هذا الخلط يتضح مثلا في الأسماء التي تبدأ بالعين أو القاف أو بالميم وهي ترد بعد الأسماء التي تبدأ بالألف لكنها تتقدم الأسماء على التي تبدأ بـ (ابن). ولعل من أسباب ذلك هو طبيعة الأسماء التي قد ترد في أكثر من صيغة بناء على اللقب العائلي أو النسبة إلى المنطقة أو البطن أو العرق (كالشاوي) أو المذهب (التوحيدي) أو اسم الشهرة[1].

4-2- منهجه في جمع المادة وتصنيفها:

قام أبو القاسم الحفناوي من خلال عمله بجمع بيانات ومعلومات موثقة، وأحيانا رقمية تحصل عليها بطرائق مختلفة ومتعددة وهي بيانات ومعلومات أساسية، كونها من الاعداد المجمعة على شكل جداول إحصائية بالإشارة إلى متغيرات معينة فيرقى هذا العمل إلى مستوى النظرية من خلال الربط بين أجزائها أو مقارنتها أو تقويمها وهذا ما يحصل في الوقت المعاصر في مجال البحث العلمي الرّصين[2].

من مميزات منهج الحفناوي في هذا الكتاب هو إلتزامه بالأمانة العلمية وعدم التصرف فيها بالزيادة والنقصان وكذا توخي العرض المحايد لها، مع الإحالة على المصادر الأصلية التي أخذ منها مهما كان حجم المقتبس منها، وتجده دوما يحدد بداية الاقتباس بعبارة « حدثني...» وينته إلى انتهائه بعبارة (انتهى أو أ.هـ)[3].

---

[1] خير الدين شترة، **قراءة نقدية...**، مرجع سابق، ص35.

[2] نفسه.

[3] محمد الحفناوي أبو القاسم ، **تعريف الخلف...**، تح: خير الدين شترة، مصدر سابق، ص334.

ومن مميزات منهجه عدم إلتزام التسلسل التاريخي، حيث لا يتوخى المؤلف التسلسل التاريخي في الاستفادة من المصادر وهو ما يسمى بتنظيم المصادر التاريخية تنظيما كورنولوجيا فلا يرتب المراجع التي يقتبس منها تراجمهُ ابتداء من الأقدم ثم يليه وهكذا.[1]

4-3- ولائه المفرط للطريقة ومبادئها (تفكيراً وكتابة):

ومما نلاحظ على كتابه استعمال السجع المفرط مع بساطة في الأسلوب ووضوح الأفكار وغزارة المعارف خصوصاً الأدبية وقوة الحجة، غير أن شواهده كثيرة وطويلة، كما أن ولائه المفرط للطرق الصوفية ومبادئها وشيوخها كان بارزاً في ثنايا كتابه وهو ما أفقد من حيث منهجية الكتابة والبحث روح النقد والاستنتاج.[2]

4-4- لغته وبيانه في كتابه:

إن كتاب (تعريف الخلف برجال السلف) يعد من كنوز اللغة العربية في الجزائر فعلاوة على ترجمة علماء أجلاء وأولياء صالحين فضلاء فقد عرض المؤلف عمل هؤلاء الأولياء والعلماء وذكر جهوده المضنية في الحفاظ على جماليات اللغة العربية، وهو بذلك حقق ثلاث غايات في غاية واحدة، كما أن هذا الكتاب يحمل في طياته أسماء وعناوين مئات الكتب والمصنفات في شتى أنواع العلوم الإنسانية والدينية وغيرها.[3]

4-5- إعتماد أسلوب الاستشهادات:

نقد الشيخ الحفناوي كثير الاستشهاد بآيات القرآن الكريم ولا عزو في كلام الله تعالى في المرتبة العليا من حيث قوة الاحتياج على صحة قول العربي، فلهذا جاء كتابه طافحا بعدد كبير من الآيات القرآنية الكريمة التي قمنا في إطار التعليق والتحقيق بتخريجها، وقد

[1] محمد الحفناوي أبو القاسم ، **تعريف الخلف...**، تح: خير الدين شترة، مصدر سابق، ص334.

[2] خير الدين شترة، **قراءة نقدية...**، مرجع سابق، ص36.

[3] نفسه، ص37.

بلغ مجموع الآيات المستشهد بها 59 آية كريمة (القسم الأول 11 آية – القسم الثاني 48 آية).[1]

كما احتوى كتاب الحفناوي على مجموعة كبيرة من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، (إثنان وثلاثون حديثاً) صاغ معظمها في سياقات مختلفة، واللافت للنظر أن النزعة التقديمية الاصلاحية للشيخ الحفناوي تكاد تتلمسها في عدد من المواضع في كتابه فهو كلما وجد الفرصة سانحة إلا وأمعن في الإشارة إلى ضرورة اللحاق بالركب العلمي والمعرفي عن طريق التعلم والاصلاح وسيادة الأخلاق وإن كان في غالب الأحيان يُلبسها الثوب الصوفي والروحاني، وفي هذا الكتاب ساق عدداً معتبراً من الأحاديث النبوية الشريفة قمنا في إطار التعليق والتحقيق بتخريجها من مصادرها كما هو موضح في مايلي:

– القسم الأول: 10 أحاديث نبوية شريفة – القسم الثاني: 22 حديثاً نبوياً شريفاً، المجموع 32 حديثاً نبوياً شريفاً[2].

إضافة إلى ذلك نجد الشيخ الحفناوي في تعريفه كثير الاستشهاد بالشعر العربي وأفرد له صفحات طوال ضمن تراجمه، ومن كثرتها وكأن كتابه عبارة عن ديوان شعر، بل حتى أن القصائد الشعرية كانت المنفذ له في عدد من التراجم التي شحّت فيها المعلومات.[3]

ويمكن التنبيه إلى مسألة سلبية في هذا الباب وهي أن الشيخ الحفناوي في كثير من استشهاداته الشعرية لا يجتهد في نسبها إلى أصحابها وقائلها على الرغم من أن معظمهم ليس مجهولاً، وكان أقل استشهاداته الشعرية بيت أو بيتين وأكثرها بلغ (258 بيتا شعرياً) عندا ترجم لمحمد بن خميس التلمساني، ثم يليه ما رود في ترجمة بن علي آبهلول المجاجي (130 بيتاً) ثم يليه ما ورد في ترجمة والده بن عروس (120 بيتاً)، ثم يليه ما ورد في

[1] خير الدين شترة، **قراءة نقدية...**، مرجع سابق، ص38.

[2] محمد الحفناوي أبو القاسم ، **تعريف الخلف...**، تح: خير الدين شترة، مصدر سابق، ص344.

[3] نفسه.

ترجمة سيدي الغزالي (110 بيتا) (القسم الأول: 338 بيتا شعريا – القسم الثاني: 2159 بيتا شعرياً)[1].

4-6- استعمال الحكم والأمثال والأقوال السائرة:

إن موسوعة الشيخ الحفناوي سواء في اللغة العربية أو التراث العربي القديم وحتى الموروث الشعبي الجزائري الأصيل، سمحت له بأن يمسك بزمام إيراد الحِكم والأمثال والأقوال، وأن يسردها في أوانها مع إقتباس وجه الاعتبار منها، فالحفناوي كان حافظا لأقوال العلماء وآرائهم ومواقفهم حتى نوادرهم وقصصهم وكراماتهم... لهذا نجد أن كتابه جاء يعُج عجًا بها، واستند إليها في تقوية أحكامه وتعضيد آرائه واقتناع مخالفيه، وهو في كل ذلك يستميت في نسبها إلى قائليها حتى يعطيها قوة الإقناع والبرهان.[2]

كما نلاحظ توظيفه لعبارات التحليل والسجع: من مثل «أدام الله بهجتك من كل مكروه مهجتك العلامة المحقق الحافظ والبحر الجامع المتدفق اللافظ» حيث يطغى أسلوب التحليل والسجع خاصة في الافتتاحيات أو في المقدمات أو في المرائي والمدائح.

أما استعماله في نهاية القول المقتبس: هذا يعني أن النص المعتمد عليه لم يتجاوز هذا النقل في أن يتصرف بالزيادة أو بالنقص ويدخل هذا العمل في الأمانة العلمية التي نوصي بها طلابنا في الاقتباس الحرفي.

5- بعض شهادات المعاصرين له:

لقد شكلت حياة وأعمال الشيخ الحفناوي نواة حقيقية للحركة الإصلاحية والأدبية في الجزائر الفتاة وهو ما أشار إليه عدد من المهتمين بالبحث في حياته وتراثه[3]، لقد استطاع الشيخ بمنهجه في البحث والتدريس وأسلوبه في التعامل مع الواقع المحيط به أن يعطي لنفسه مكانة عظيمة بين معاصريه، وباتت دروسه ومؤلفاته وفتاويه مدرسة روحية واجتماعية

[1] خير الدين شترة، **قراءة نقدية...**، مرجع سابق، ص38.

[2] نفسه.

[3] سعد الدين بن أبي شنب، **النهضة العربية**، مجلة كلية الآداب، ع1، ص48. نقلا عن: محمد الحفناوي أبو القاسم، **تعريف الخلف...**، تح: خير الدين شترة، مصدر سابق، ص287.

وأدبية وعلمية تربى عليها العديد ممن سيحملون مشعل النهضة والإصلاح فيما بعد فكان بذلك من الرجال الأوائل من نبه الأجيال الجزائرية الناشئة إلى ضرورة الاستفادة من عظمة تاريخنا بدون تحيز، والاستفادة بعلوم الغرب من دون انغلاق[1].

قال عنه أستاذه وشيخه عبد الرحمان الديسي: أنه هو العلامة بالبرهان لا بالحدس والحسبان... وهو بالمكارم خير عامل ولمآثر الفضائل الراوي، ولدنا العزيز العارف المدفق الشهم الهمام[2].

وفي رسالة أخرى من عبد الرحمان الديسي كان يخاطبه (العلامة العارف الجم العوارف والمعارف ابننا الشيخ الحفناوي بن الشيخ البركة ولي نعمتي سيدي الشيخ بن أبي القاسم، أشهد الله العظيم العزيز أنك لدينا لمكين عزيز، فإنني أحبك محبة الوالد لبررة الأولاد وأدعو لك بخير الدارين من صميم الفؤاد فحي الله تلك الطلعة البهية أبرك وأطيب وأزكى تحية)[3].

وبعد صدور كتابه: (تعريف الخلف) قام الشيخ الديسي بتقريظه وقال في الشيخ الحفناوي ومؤلفه أبياتا شعرية تضمنت على ما أذكر تاريخ حسن الاستطاعة فإن الإنفاق بمقدار البضاعة.[4]

ومن خلال هذه الميزة الحافلة بجلائل الأعمال أمكننا أن نصل إلى صفة جوهرية اتصفت بها هذه الشخصية وهو أن لم يهتم يوما ما بجمع المال ولم يتعاطى التجارة في وقت كان بإمكانه إستنادا إلى علاقاته الوثيقة بالإدارة الفرنسية وبمستواه الاجتماعي في قرية الديس أن يفعل ذلك[5].

---

[1] خير الدين شترة، **من أعلامنا**...، مرجع سابق، ص237.

[2] محمد الحفناوي أبو القاسم ، **تعريف الخلف** ...، تح: خير الدين شترة، مصدر سابق، ص285. أنظر الملحق رقم 13.

[3] نفسه.

[4] محمد الحفناوي أبو القاسم ، **تعريف الخلف** ...، تح: خير الدين شترة، مصدر سابق، ص287.

[5] نفسه، ص285.

هذه نبذة قصيرة من شهادات المعاصرين له عن جهاده العلمي والصحفي والثقافي فالحفناوي واحد من أساتذة الجزائر العظماء الذين يجب أن تسمى بهم أكبر معاهدها وأكبر الشوارع في مدنها، إحياء لذكراهم ووفاء لهم يرحمهم الله.[1]

وفي الأخير يمكننا القول أن عند ظهور النهضة الثقافية في بلادنا ظهر العديد من الصحافين الجزائريين من بينهم أبو القاسم محمد الحفناوي الذي عاشر الصحافة مدة تفوق خمسون سنة حيث أنه كتب فيها العديد من المقالات في عالم الصحافة يكتب ويترجم ويصحح ويعلق في مجالات عديدة من مجالات الإعلام فكتب الأخبار عن دمشق الشام والسنيغال بإفريقيا السوداء الغربية، وكتب عن داء الكلب لدى أطباء العرب وكتب تركيب الهواء وغيرها من المقالات، كما أنه ألف العديد من الرسائل أراد فيها لفت أنظار مواطنيه اقتبسها من الكتب الفرنسية ويترجمها ويلبسها ثوب العربية.

أما عن كتابه (تعريف الخلف برجال السلف) فإننا نجده كان يخدم بلاده وبناء وطنه بطريقة مستمرة دون أن تتفطن إلى ذلك الإدارة الاستعمارية، فهو الماهر واسع الاطلاع، فقد كان الناس يدعوه إلى العلم والمعرفة فهو المؤلف الذي ألف كتاب أظهر فيه للأجيال القادمة شخصية أجدادهم كما أن هذا الكتاب يعد مصدرا مهما من مصادر تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، فالرغم من النقائص الموجودة بالكتاب فإن تعريف الخلف يعتبر من أثمن الكتب فللحفناوي فضل كبير لأنه استطاع ان يجمع ما كان مشتتا وأن يضيف إليه معلومات نفسية عن عائلته وخاصة في الجزء الثاني من الكتاب، إلى جانب ذلك أفادنا الحفناوي بأخبار عن معاصريه من العلماء، أما بالنسبة لشهادة المعاصرين له أنه بذل جهده العلمي والثقافي فقد اتصف بالصفة الجوهرية.

[1] خير الدين شترة، **من أعلامنا...**، مرجع سابق، ص244.

الخـــاتمـــة

وبعد التعرف على شخصية أبو القاسم محمد الحفناوي وآثاره، يمكننا أن نستخلص بعض النتائج التي توصلنا إليها، ونجملها فيمايلي:

- عرفت الجزائر في نهاية القرن 19 والنصف الأول من القرن 20، ظهور تيارات فكرية إصلاحية ودينية، قادها مجموعة من المثقفين عرفوا بالنخبة المثقفة من بينهم أبو القاسم محمد الحفناوي، فكان أبو القاسم محمد الحفناوي وجهة بارزة من وجوه النهضة الجزائرية الحديثة وفارس من فرسانها الذين عاشوا إرهاساتها بكل جوانبها فقد كان واحدا من الرواد الأوائل الذين آضاءوا شمعة الوعي والعلم في ظلمات الاستعمار الفرنسي.
- ينتمي الحفناوي إلى الفئة المثقفة ونشأ في عائلة عريقة ومتينة الصلة بالدين أخذ عنها الفقه والحديث وتعلم القرآن الكريم فكان أبوه أبو القاسم الديسي بن إبراهيم بن الغول مدرسا شهيراً حيث تولى التدريس بزاوية الهامل، فهو أول من احتضن الحفناوي ولقنه المبادئ الأولية من العلوم الشرعية، وفي نفس الوقت واصل تكوينه الثقافي والعلمي وذلك عن طريق إحتكاكه بفئة العلماء وبعمله في الصحافة.
- عاصر الحفناوي العديد من شيوخ الزوايا وتعلم على أيديهم أمثال حسن بريهمات ومحمد الطيب بن أبي داود والشيخ محمد بن أبي القاسم الهاملي وأحميدة بن العمالي والمكي بن عزوز والبصيري وغيرهم.
- كما أن للحفناوي أخلاق وسجايا كريمة كأنها سبكت من الذهب المصفى نبلا وكرما وأريحية ومروءة وما شوهد يوما محتدما أو غضبانا فكان لا يعرف للغضب ولا للعتاب أو التصنيف لفظا ولا معنى وكان فيه من خصال النبوة القصد والتؤدة وحسن السمت.
- أبو القاسم محمد الحفناوي العالم الفقيه المحرر الصحفي واحد من رواد الصحافة الإسلامية في الجزائر، وأما عن جهوده الأخرى فهو مؤلفا وكاتبا لامعا وشاعرا مجيدا مؤرخا محققا ولد بمدينة بوسعادة وبتحديد قرية الديس.
- تمثل حياة الشيخ الحفناوي أحد النماذج النادرة المثقف الجزائري الريفي في العهد الاستعماري من عدة وجوه ومنها تواضع أهل الريف واستغلال السلطات الاستعمارية له.

- تعتبر شخصية الحفناوي شخصية ثقافية لأنه جمع بين التدريس والعمل الصحفي والافتاء والتأليف ويعد كتابه مصدر أساسيا ومعلما بيبليوغرافيا وبيبليوغرافية لا يمكن للباحث في تاريخ الفكر الاسلامي الاستغناء عنها، رغم أن الأعلام والمصادر الواردة فيه، فهو كتاب يندرج ضمن التراجم والتراث.
- كتب الحفناوي العديد من المقالات في جريدة المبشر غير أنها لم تكن المجال الفسيح الذي نشر فيه، بل كتب دراسات نشر بعضها في التقويم الجزائري للشيخ محمود كحول، كما اقتبس معظم ما نشره من مؤلفات فرنسية قام بتعريبها وترجمتها بأسلوب أدبي رائع.
- يعتبر كتاب أبو القاسم محمد الحفناوي (تعريف الخلف برجال السلف) مبادرة عبر من خلالها عن الهاجس الذي كان يسكن الفئة الجزائرية القليلة ذات الثقافة العربية الإسلامية أما التيار الفرنسة يقابله جهل وغفلة تامة لدى الأهالي.
- أما بالنسبة لأسلوبه في كتابه هو غياب النقد والتحليل فكأنك تقرأ مراويات واقعية دون إضافة ولا تحليل وأيضا غياب المنهج العلمي الصارم الذي يتطلب التهميش والتثبيت والإسناد مما نلاحظ أيضا العفوية في بعض النقول والانطباع الذاتي والسرد السطحي للأحداث في غياب الدليل الملموس للذين نقل عنهم.
- وإضافة إلى كل هذا النشاط العلمي والثقافي الزاخر بالإنتاج والحيوية فقد بذل الشيخ الحفناوي جهداً ثقافيا آخر لم يشير إليه بعض من اهتم في البحث في سير وهو اجتهاده في جمع المخطوطات وقراءتها وفحص محتوياتها والتأكيد من المادة العلمية التي تضمنتها.

الملاحق

الملحق رقم 01: صوة أبو القاسم محمد الحفناوي[1]

الشيخ العلامة أبو القاسم محمد الحفناوي

(1266 – 1360 هـ، 1850 – 1942م).

[1] الجيلالي عبد الرحمان ، **تاريخ الجزائر العام**، ج5، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، 2014، ص304.

الملحق رقم 02: قصيدته في مدح نسبه أولاد سيدي إبراهيم[1]

صورة عن القصيدة بخط يده.

[1] محمد الحفناوي أبو القاسم ، **تعريف الخلف** ...، تح: خير الدين شترة، مصدر سابق، ص411.

الملحق رقم 03: وثيقة تثبت هبة أملاك الشيخ أبو القاسم محمد الحفناوي لزوجته رحمة[1]

صورة من التعهد الكتابي

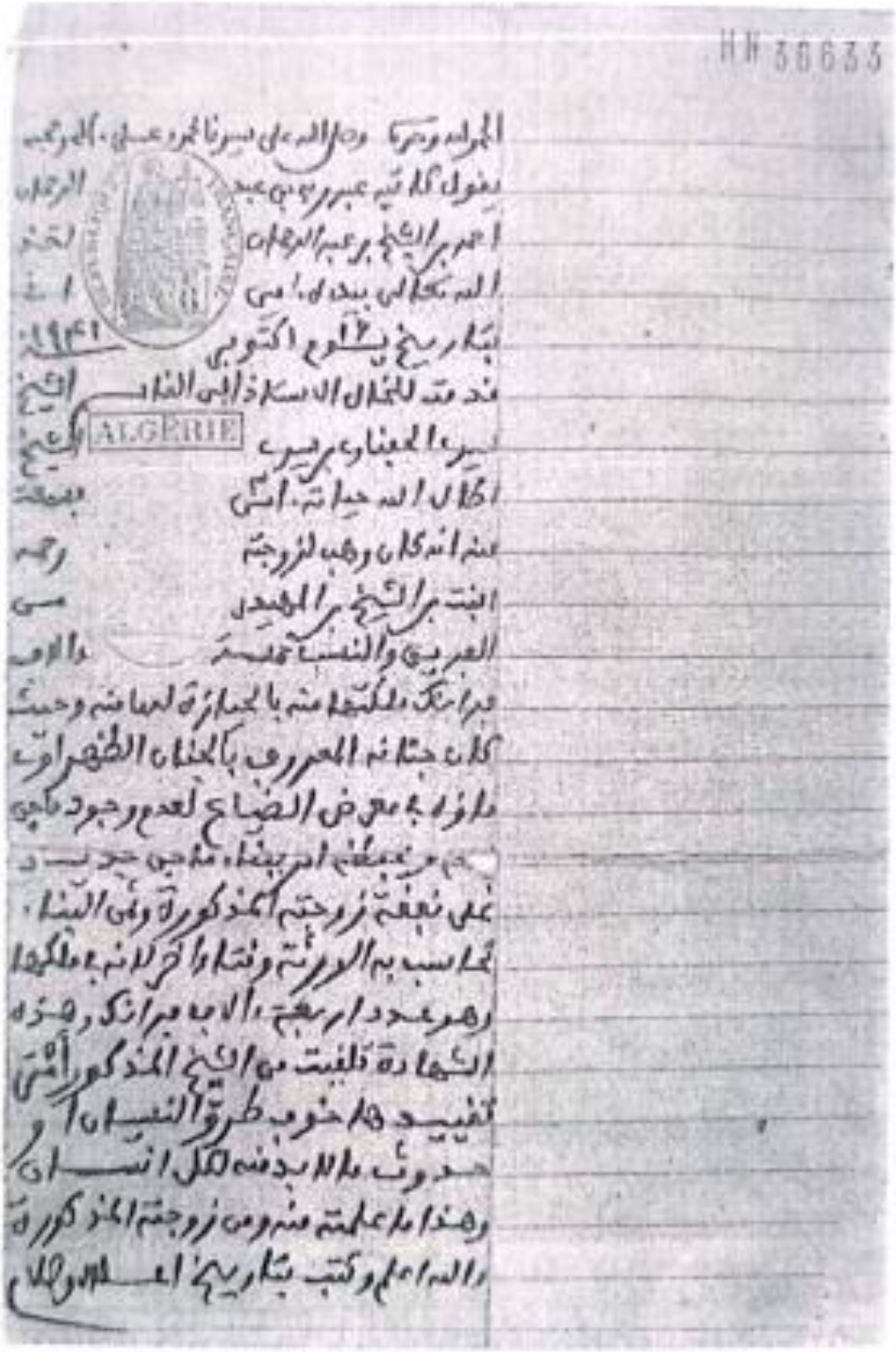

[1] محمد الحفناوي أبو القاسم ، **تعريف الخلف** ...، تح: خير الدين شترة، مصدر سابق، ص447.

الملحق رقم 04: وثيقة تثبت تنازل أبو القاسم محمد الحفناوي عن هبة والده لزوجته رحمة[1]

صورة من الإشهاد الرسمي

[1] محمد الحفناوي أبو القاسم ، **تعريف الخلف** ...، تح: خير الدين شترة، مصدر سابق، ص449.

الملحق رقم 05: معاناة أبو القاسم محمد الحفناوي مع الديون[1]

صورة الصفحة الأولى من الرسالة

[1] محمد الحفناوي أبو القاسم ، **تعريف الخلف** ...، تح: خير الدين شترة، مصدر سابق، ص405.

الملحق رقم 06: شهادة وفاة الشيخ أبو القاسم محمد الحفناوي[1]

شهادة وفاة رسمية للشيخ أبي القاسم الهاملي

[1] محمد الحفناوي أبو القاسم ، **تعريف الخلف** ...، تح: خير الدين شترة، مصدر سابق، ص451.

الملحق رقم 07: معالجة أبو القاسم محمد الحفناوي للقضايا الدينية[1]

الختم الدائري كتب عليه في الدائرة الأولى باللغة الفرنسية:

BELKACEM EL HAFNAOUI* MUFTI MALIKIT a ALGER*

وكتب عليه في الدائرة الثانية باللغة العربية:

أبو القاسم الحفناوي * المفتي المالكي بالجزائر * 1925 *

صورة من نص الفتوى "تنشر لأول مرة"

CABINET DU MUPHTI
DE LA
GRANDE MOSQUÉE
Rue de la Marine
ALGER

Alger, le 192

الحمد لله وصلى الله وسلم على رسول الله
وعلى آله

—

يوم ٣٠ جنفي ١٩٢٣

—

استفتتني الولية بوڤبڤة مبيسة بنت محمد بورقيقة
في بنت اختها المرحومة بالعزيز خداوج بنت عبد القادر
التي توفيت عن ورثة قال بوثها كريبش الحاج حميدو بن محمد
الذي طلقها اولا وثانيا وثالثا رسميا لدى قاضي الجزائر
وحرمت عليه ولا ترجع اليه الا بعد ان يطلقها زوج آخر
وترضى بتزوجها به على يد قاض.

الفتوى

لا يتقلب اثنان مسلمان في كونها ايا المرحومة محرمة
عليه شرعا حتى ترضى على يد حاكم شرعي برجوعها الى
عصمته بعد ان تناكح زوجا غيره ويطلقها عن الزوج
الثاني لدى القاضي وليس على الأمر على هذا الوجه
الشرعي فلا نكاح بينها وبين الزوج الاول ولا ارث.

ابو القاسم الحفناوي بن الشيخ
مفتي الجزائر المالكية

والا يكن

[1] محمد الحفناوي أبو القاسم ، **تعريف الخلف** ...، تح: خير الدين شترة، مصدر سابق، ص434.

الملحق رقم 08: دعوة من رئيس جمعية أوقاف الحرمين الشريفين لأبو القاسم محمد الحفناوي[1]

صورة عن الدعوة

[1] محمد الحفناوي أبو القاسم ، **تعريف الخلف** ...، تح: خير الدين شترة، مصدر سابق، ص396.

الملحق رقم 09: تهنئة سكينة بن عزوز إلى خالها أبو القاسم محمد الحفناوي بمنصب الإفتاء[1]

[1] محمد الحفناوي أبو القاسم ، **تعريف الخلف** ...، تح: خير الدين شترة، مصدر سابق، ص445.

الملحق رقم 10: رسالة من أبو القاسم عبد الرحمان إلى أستاذه أبو القاسم محمد الحفناوي [1]

صورة عن الإجازة

[1] محمد الحفناوي أبو القاسم ، **تعريف الخلف** ...، تح: خير الدين شترة، مصدر سابق، ص399.

الملحق رقم 11: رسالة شكر من قطاف بن أحمد بن عثمان للشيخ أبو القاسم محمد الحفناوي حول كتابه الشهير تعريف الخلف برجال السلف [1]

ن قطاف بن أحمد بن عثمان من رفقة أولاد ارتيمة عرش السلامات إلى
ي حول كتابه تعريف الخلف برجال السلف

[1] محمد الحفناوي أبو القاسم ، **تعريف الخلف** ...، تح: خير الدين شترة، مصدر سابق، ص425.

الملحق رقم 12: رسالة من الشيخ عبد الرحمان الديسي إلى تلميذه أبو القاسم محمد الحفناوي[1]

[1] محمد الحفناوي أبو القاسم ، **تعريف الخلف** ...، تح: خير الدين شترة، مصدر سابق، ص437.

قائمــة المـصــادر والــمراجــع

القرآن الكريم

المصادر:

1. الجيلالي عبد الرحمان ، **تاريخ الجزائر العام**، ج4، ط7، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994م.
2. الجيلالي عبد الرحمان ، **تاريخ الجزائر العام**، ج5، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، 2014.
3. أبو القاسم محمد الحفناوي ، **تعريف الخلف برجال السلف**، ج2، طبع بالمؤسسة الوطنية للفنون المطبعة وحدة الرغاية، الجزائر، 2007.
4. أبو القاسم محمد الحفناوي ، **تعريف الخلف برجال السلف**، تحقيق خير الدين شترة، ج1، ط2، دار كردادة لنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

المراجع:

1- الكتب

1. بلاح بشير، **تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1989م**، ج1، دار المعرفة، 2006.
2. بوحوش عمار، **التاريخ السياسي الجزائري منذ البداية لغاية 1962م**، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
3. بوصفاف عبد الكريم، **معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرون**، ج2، دار مداد يونيفارسيتي براس، قسنطينة، 2015.
4. جعام حسن أحمد، **حياة عباقرة العلم لويس باستور مكتشف الجراثيم**، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، (د ت).
5. الحسيني عبد المنعم القاسم، **أعلام التصوف في الجزائر منذ البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى**، دار الخليل القاسمي، جامعة ورقلة، 1425هـ/2005م.
6. الحسيني عبد المنعم القاسمي، **زاوية الهامل مسيرة قرن من العطاء والجهاد 1862-1962**، ط2، منشورات الوزارة الجزائرية، دار الخليل لنشر والتوزيع، بوسعادة، 2013.

7. خدوشي رابح ، **موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين**، ج1، منشورات الحضارة، وزارة الثقافة، الجزائر، 2012.
8. الزبير سيف الإسلام، **تاريخ الصحافة في الجزائر**، ج5، ط2، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، 1985.
9. الزبير سيف الإسلام، **رواد الصحافة الجزائرية**، مطابع دار الشعب بالقاهرة، 1981.
10. زوزو عبد الحميد ، **نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصرة 1830-1900**، طبع بالمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2009.
11. سعد الله أبو القاسم ، **الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930**، ج2، ط4، دار الغرب الإسلامي، 1992.
12. سعد الله أبو القاسم، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج2، دار الغرب الإسلامي بيروت، 1998م.
13. سعد الله أبو القاسم، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.
14. سعد الله أبو القاسم، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.
15. سعد الله أبو القاسم، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج5، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.
16. سعد الله أبو القاسم ، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج6، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.
17. سعد الله أبو القاسم، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج7، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.
18. سعد الله أبو القاسم، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج8، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.
19. سعد الله، أبو القاسم، **بحوث في تاريخ العربي الإسلامي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (د ت).

20. شترة خير الدين، **من أعلامنا المنسيين**، دراسات وأبحاث في تراجم بعض أعلام الجزائر، مج1، وزارة الثقافة، دار الصديق لنشر والتوزيع، قسنطينة، 2015.
21. الصيد سليمان، **تاريخ الشيخ علي بن عمر شيخ زاوية طولقة الرحمانية**، دار هومة، الجزائر، (د. ت).
22. العقبي صلاح مؤيد، **الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر**، دار براق، بيروت، 2002.
23. عيساوي عبد الوهاب، **رواية، ديوان الإسبراطي**، دار الهيثم للنشر، الجزائر، 2008.
24. بن قينة عمر، **صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث، (أعلام وقضايا ومواقف)**، ديوان المطبوعات الجامعية، معهد الأدب العربي، جامعة الجزائر، 1993.
25. أبو لحية نور الدين، **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والطرق الصوفية وتاريخ العلاقة بينهما**، ج1، مكتبة مدرسة الفقاهة، الجزائر، (د ت).
26. المالكي خليل بن إسحاق، **مختصر العلامة خليل**، تر: أحمد نصر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 1981.
27. الناصر محمد بن صالح، **الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1854م**، ألفا ديزاين قصر المعارض الصنوبر البحري المحمدية، الجزائر ، 1980.
28. بن نعيمة عبد المجيد، **موسوعة أعلام الجزائر، 1830-1954**، ط5، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، وزارة المجاهدين، الجزائر، (د ت).
29. نويهض عادل، **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**، مؤسسة نويهض الثقافية لتأليف والترجمة والنشر، بيروت، .1980

2- المجلات:

1. أوفة سليم ، "**زيارة محمد عبده لمدينة الجزائر صائفة 1903 وتداعياتها**"، مجلة اللغة العربية، مج25، ع3، 2023.
2. بقطاش خديجة، "**أبو القاسم الحفناوي وكتابه تعريف الخلف برجال السلف**"، الأصالة، مج18، طبعة المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر، 2021.
3. بلقاسم ميسوم، "**الشيخ عبد الرحمان الجيلالي: فقيه المؤرخين الجزائريين عرض لحياته وتقديم لكتابه: تاريخ الجزائر العام**"، مجلة عصور، ع15، 2008-2009.

4. بوغازي فتيحة، "**تصنيف الصحافة الاستعمارية في الجزائر**"، مجلة أفكار وآفاق، مج11، ع1، 2013.
5. بوقويوة لمياء، "**مشروع موريس فيوليت مؤامرة سياسية اجتماعية ضد الجزائر**"، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، ع4، جامعة باتنة ، 2012.
6. بن حمودة مراد، "**المنهج الإصلاحي في فكر الشيخ عبد الحكيم بن سماية 1866-1933**"، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات الجزائرية، مج3، ع4، جامعة سيدي بلعباس، 2017.
7. سعد الله أبو القاسم، "**أبو القاسم بن سديرة حياته ومؤلفاته**"، مجلة مجتمع اللغة العربية، مج251، ع(81-102)، جامعة الكتب الإسلامية، د ت.
8. سعد الله أبو القاسم، **مدارس الثقافية العربية في المغرب العربي 1954 دراسة مركزة على الجزائر**، مجلة الثقافة، ع79.
9. شارف رقية، "**أبو القاسم الحفناوي وكتابه "تعريف الخلف برجال السلف**"، مجلة دراسات وأبحاث المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج15، ع1، جامعة الجزائر، 2023.
10. صابر نور الدين، "**كزافيي كوبولاني والتوسع الفرنسي في المغرب العربي (1866-1905)**"، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، مج5، ع12، 2017.
11. صافة خيرة، "**التأصيل الفقهي والتكوين التاريخي للوقف**"، مجلة الفقهي القانوني والسياسي، مج3، ع2، قسم الحقوق بملحقة السوقر بجامعة تيارت، 2022.
12. طويلب عبد الحكيم ، "**الملامح الصوفية في كتاب تعريف الخلف برجال السلف لأبي القاسم الحفناوي**"، مجلة المعيار، مج26، ع6، المركز الجامعي بمغنية، 2020.
13. لحمر كمال، "**دور الوقف في دعم المؤسسات الخيرية بالجزائر**"، مجلة الاجتهاد للدراسات القانونية والاقتصادية، مج7، ع4، جامعة سطيف2، 2018.
14. لونيسي إبراهيم، "**زيارة الشيخ الإمام محمد عبده إلى الجزائر سنة 1903**"، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية، مج7، ع2، جامعة سيدي بلعباس.

15. لونيسي إبراهيم، "**تداعيات اغتيال المفتي كحول بن دالي على جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والمؤتمر الإسلامي الجزائري 1936-1939**"، المجلة الجزائرية للبحوث الدراسات التاريخية، مج5، ع10، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، 2019م.

16. يحياوي عامر، "**جهود الشيخ محمد بن عبد الرحمان الجزائري الديسي في شرح المتون النحوية بين التأثير النظري والتيسير التعليمي**"، مجلة حقائق للدراسات النفسية والاجتماعية، ع12، البليدة، (د. ت).

17. مصباح محمد، "**الشيخ الإمام محمد عبده وآثاره في الفكر الإسلامي المعاصر**"، Qudus International journal of Islamic Studies، مج3، ع2، الجامعة الإسلامية الحكومية بقدس جوى الوسطى إندونيسيا، أوت 2015م، ص.228

3- الرسائل الجامعية:

1. ثارة عبد العزيز، **النشاط الإصلاحي والتعليمي بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بمنطقة الجلفة (1931-1956)**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ المعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أحمد دراية، أدرار، 2020-2021.

2. شكيدان سعيد، **الثورة الجزائرية في الصحافة الفرنسية من خلال جريدة لاديباش كوتديان ladepeche qutidene.1954-1956**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2 أبو القاسم يعد الله، السنة الجامعية، 2017/2016.

3. قوادرية قمير، **الجمعيات والنوادي الثقافية ودورها في الحركة الوطنية (1900-1939)**، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير تخصص تاريخ معاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة 8 ماي 1945م، قالمة 2014-2015م.

4- المقالات:

1. عبد الله الرزاق إبراهيم، **دور تمبكتو الاقتصادي والجغرافي في التجارة الصحراوية**، المؤتمر الدولي الإسلامي في إفريقيا، ليبيا، 1427هـ/2006م، ص141.

2. شترة خير الدين، "**قراءة نقدية لكتاب أبو القاسم الحفناوي تعريف الخلف برجال السلف**"، قسم التاريخ، جامعة المسيلة، المقال موجود في الموقع الالكتروني: http://www.asjp.cexist.dz

3. شترة خير الدين ، **من أعلام المقاومة الثقافية في الجزائر خلال الحقبة الإستعمارية أبو القاسم الحفناوي أنموذجا**، جامعة المسيلة، https://www.asjp.cerist.dz

4. عزة عبد القادر، "**علماء حوض الشلف بما ورد في المدونة تعريف الخلف برجال السلف لأبي القاسم الحفناوي**"، http://www.univ.chlf.dz

5. بلعيد. ص، "**قراءة في: تعريف الخلف برجال السلف للشيخ أبي القاسم محمد الحفناوي الديسي**"، revue campus N°09, université Mouloid Mammeri de Tizi Ouzou, 2008.

5- المواقع الالكترونية:

1. **مدونة سوف أوراق الثقافية**، https://souf-aurak-takafia-blogspot.com، 01/03/2024، 20:15.

فهرس الموضوعات

الإهداء.....

الشكر والتقدير.....

مقدمة.....8

الفصل الأول: أبو القاسم محمد الحفناوي، النشأة والتعلم

1- المولد والنسب:.....13

2- الأسرة والمحيط العائلي:.....14

3- مساره التعليمي:.....17

3-1- تعلمه في طولقة ما بين 1867-1871:.....18

3-2- تعلمه بزوايا جبل زواوة (جبل النور) ما بين 1871-1874:.....18

3-3- تعلمه في زاوية شلاطة ما بين 1871-1874:.....19

3-4- توجهه إلى زاوية الهامل ما بين 1874-1876م:.....19

3-5- تنقله إلى مدينة الجزائر ما بين 1883-1940م: 20

3-6- تعلمه في الزاوية العزوزية بتونس (نفطة):.....23

4- شيوخه:.....24

4-1- الشيخ محمد أبو القاسم (بن عروس):.....24

4-2- الشيخ محمد الصديق الديسي:.....24

4-3- الشيخ محمد الطيب بن أبي داود: 25

4-4- الشيخ محمد بن أبي القاسم الهاملي:.....25

4-5- الشيخ المكي بن عزوز:.....26

4-6- الشيخ محمد بن عبد الرحمان الديسي (البصير):.....26
4-7- الشيخ أحميدة بن محمد العمالي: 27
4-8- الشيخ الحفناوي بن علي بن عمر:.....27
5- أخلاقه:.....28
5-1- الخلق الكريم:.....28
5-2- التواضع:.....29
5-3- طلب العلم:.....29
5-4- الزهد والقناعة:.....29
6- وفاته:.....31

الفصل الثاني: نشاطاته العلمية والعملية

1- نشاطه التدريسي بالعاصمة: 34
2- نشاطه الصحفي:.....35
2-1- في جريدة المبشر: 35
2-2- عمله في كوكب إفريقيا:.....36
2-3- طريقته في الترجمة الصحفية:.....37
3- نشاطه الثقافي:.....38
4- نشاطه الجمعوي:.....40
5- توليه وظيفة مفتي المالكية:.....43
6- علاقاته في محيطه العلمي والعملي:.....44

6-1- علاقته بأصدقائه:.....44

6-2-علاقته بطلبته:.....47

6-3- علاقته بالإدارة الفرنسية: 47

الفصل الثالث: نماذج من كتابات الحفناوي

1- اقتباساته ومقالاته الصحفية:.....50

1-1- تعليقه على كتاب أبو القاسم بن سديرة:.....50

1-2- مقاله حول بلاد السينغال:.....51

1-3- مقالاته في الاقتصاد والتجارة:.....54

1-4- من التجارة إلى العلم والعلماء:.....55

1-5- شأن الكلب لدى أطباء العرب: 56

1-6- تركيب الهواء: 58

2- مؤلفاته كتابه الشهير: "تعريف الخلف برجال السلف".....59

2-1- دوافع تأليف الكتاب: 61

2- 2- محتوى الكتاب -الجزء الأول-:.....62

2-3- محتوى الجزء الثاني لكتاب تعريف الخلف برجال السلف:.....65

3- مصادر معلوماته:.....68

3-1- الكتب المخطوطة والمطبوعة:.....69

3-2-المراسلات:.....70

3-3- رصيده المعرفي واجتهاداته:.....70

3-4- اتصالات الشخصية الخاصة:.....72

4- منهجه في الكتابة:.....73

4-1- في ترتيب الأسماء:.....74

4-2- منهجه في جمع المادة وتصنيفها:.....74

4-3- ولائه المفرط للطريقة ومبادئها (تفكيراً وكتابة):.....75

4-4- لغته وبيانه في كتابه:.....75

4-5- إعتماد أسلوب الاستشهادات:.....75

4-6- استعمال الحكم والأمثال والأقوال السائرة:.....77

5- بعض شهادات المعاصرين له:.....77

الخاتمة.....81

الملاحق.....84

قائمة المصادر والمراجع.....97

فهرس الموضوعات.....104